تجربتي والإعاقة

حسن عثمان الحسن

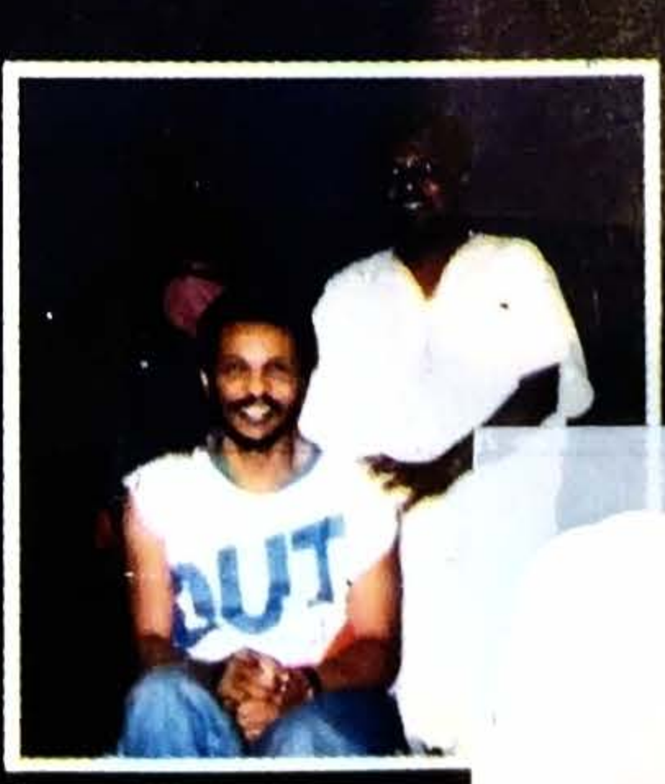

تقديم

في بداية الأمر نظرت للنص الذي أعده الاستاذ/ حسن عثمان بنظرة تعاطف بمعنى إنني لم أكن كثير الحماس للنص وكنت أحرص ما أكون لتقديم يد العون لصديق في محنة ولكنني بعد قراءة النص تبدل شعور العطف عندي الى أحاسيس اخرى. فقد فوجئت حقا بالجسارة والشجاعة التي كتب بها حسن نصه، ولم أجد ما توقعته من مرارة واحباط وأسى، بل على العكس وجدت تفاؤلا وحبا واقبالا على الحياة. وكل هذا حدث بسبب جوهري هو قدرة الكاتب المذهلة لتجاوز مأساته الشخصية والنظر اليها بمنظور موضوعي وليس ذاتيا وكما قلت فالأمر يبدو وكأن الكاتب لا يسرد تجربته بل يحكي معاناة شخص آخر. ربما هنا تكمن قيمة الكتابة، فالكتابة فعل ايجابي وهيْ "سلاح" يواجه به المرء العالم ويتحدى به الصعاب، لهذا تفوق عبقري اسمه طه حسين وملأ الدنيا وشغل الناس ومن قبله رهين المحبسين أبو العلاء المعري. والقائمة تطول للكتاب المبدعين الذين سطروا اسماؤهم بحروف من نور في سجل الخالدين. وهذا جميعه بفضل الكتابة والحرص على مخاطبة المتلقي وتحويل المعاناة من هزيمة فردية الى نصر للإنسان والإنسانية.

ولعل مفتاح نجاح هذا النصر الذي نحن بصدده هو احساس الكاتب بالانتصار على الإعاقة، من هنا جاءت روح الدعابة والسخرية التي يحتشد بها النص، في واقع الأمر إن حسنا أطل من خلال هذا النص على عالم غني مدهش هو عالم طفولته في حواري الخرطوم وارصفتها في الستينات من القرن السابق، أي الفترة التي شهدت تبلور بعض ملامح الشخصية السودانية واعقاب خروج الوطن من تجربة استعمار استمر لأكثر من نصف قرن وقد نجح الكاتب في تلمس ملامح هذه الشخصية وتجلياتها في الفن والرياضة والسياسة والاجتماع ومختلف ضروب الحياة.

أما عن شكل النص نفسه فمثل أي نص غني مكتنز من الصعب جدا تأطير أو تجنيس هذا النص أي اصباغ صفة هذا الجنس السرد الأدبي أو ذاك، وهنا يجيئ في الخاطرة الحوار الطويل حول جدوى التجنيس نفسه، بالطبع ليس هذا محل الافاضة بالأمر، لكن يمكن القول ان هذا النص هو ذكريات شخصية، أو تداعيات على نمط كتابات يحيى فضل الله، وهو كذلك مشروع لرواية ملمحية تحكي تماسك الإنسان وصلابته في وجه الألم.

فهذا النص هو كل هذه الأشكال الابداعية وربما أكثر من ذلك. وخلاصة القول أن القارئ الكريم موعود بمائدة شهية من الجرأة والصدق وتعرية الذات الى جانب التاريخ الاجتماعي والسياسي لواحد من أحياء الخرطوم العريقة.

دكتور محمد المهدي بشرى

الأهداء

الى روح الوالد

عثمان ود الحسن ود سلطان

والى والدتى

نفيسة بت التجانى بت محمد بيه

((المقدمة))

" قتلتنا الردة فالواحد فينا يحمل في الداخل ضده "

مظفر

نحن جيل سحقه تسلط نميرى وأجهزته الأمنية المريضة. قتل في داخله الطموح ورحلة البحث عـــن الأمـــل والمستقبل والحياة الأفضل، التي تحولت إلى سراب. جيل كل ما كان يريده أن يولد الطفـــل فى هذا السودان بل فى هذا العالم ويتلقى العلاج والعناية والدراسة والأمن والقدرة على تحقيـــق خياراتـــه من درجة الوعى المكتسب من محيط يصنعه أولا ويصنع هو المحيط في المستقبل. فنميرى قتل الثقافة بل حول وزارة الثقافة إلى مكتب غير موجود فى وزارة الداخلية، فنميري لأنه غـــير مؤهل للحكم كما قال الطيب صالح جلب أناسا على شاكلته ألحقوا بـــهذا الوطن ضررا بـــليغا ومساحة الوعى والتواصل بين الأجيال جعل الهوة واسعة وسحيقة خلق جيلا فارغا مفرغا بـــلا طموح ودفع جيلنا الثمن إما النجاح عمليا وبلا دور إجتماعى أو السقوط فى براثن الإدمان والهجرة والغربة التى مازالت هى الحل الوهمى (تايتانك) نحن جيل قتله التنظير.

أجزم الآن بأن كل الحب وكل الحقد وكل الإحترام وكل الكراهية وكل الخير وكـــل الحسد وكل المواقف الرائعة وكل الخذلان، كلها تجارب مريرة ساهمت فى تشكيل العلاقة بينى وبين نفسى وجعلتها علاقة قوية ومتماسكة وقادرة على تجاوز كـــل المحـــن على الصعيد الخاص والعام ولكنها أدت فى النهاية إلى حذر وهادى موقـــف من كل ما يحيط بالشخص من أحداث وأتمنى في النهاية أن أخرج من هذا العالم وأنا لا أحمل فى داخلى إلا الحب.

أكتب هذه التجربة استجابة لرغبة العديد من الأصدقاء علها تفيد.

حين ذهبت للحرب كنت خائفا من الموت، ولكنى الآن خائف من الحيـــاة. لم تكن العبارة التى قالها (مارلون براندو) في ذلك الفيلم تعنى شيئا كثيرا لى إلا حيـــن ســـمعت الطبيب وهو يحدثنى عن تفاصيل حالتى بعد الحادث، كان زميـــلى الســـائق أميـــن أو الأمين متوجها إلى القيادة فى (سويحان) كانت حوالى الســـاعة الســـابعة والنصف جاء يتزود بالوقود كنا نعمل معا في القوات المسلحة بدولـــة الإمارات العربية المتحدة كان العام الثامن لى هناك - الغربة لم تكن هدفا ولكـــنها كانت محاولة لحياه أفضل - طلبت من الأمين الانتظار لأننى ذاهب معه لمراجعة بعض الحسابات - كان الفرق ٠,٧ من الجالون في دوله بترولية - كان لابد من إقناع الكمبيوتر بجبر الكسر لأنه لم ولن يفعل، وكان الثمن غاليا.

تحركـــنا بهـــدوء لأن العـــربة مـــن صنع إنجليزي شهير (لاندروفر) وكانت متهالكة ويجب استبدالها. بعد عشرين دقيقة سمعت صوتا قويا خلفى وألتفت وحين تحدثت إلى الأمين كان كل شيئ إنتهى.

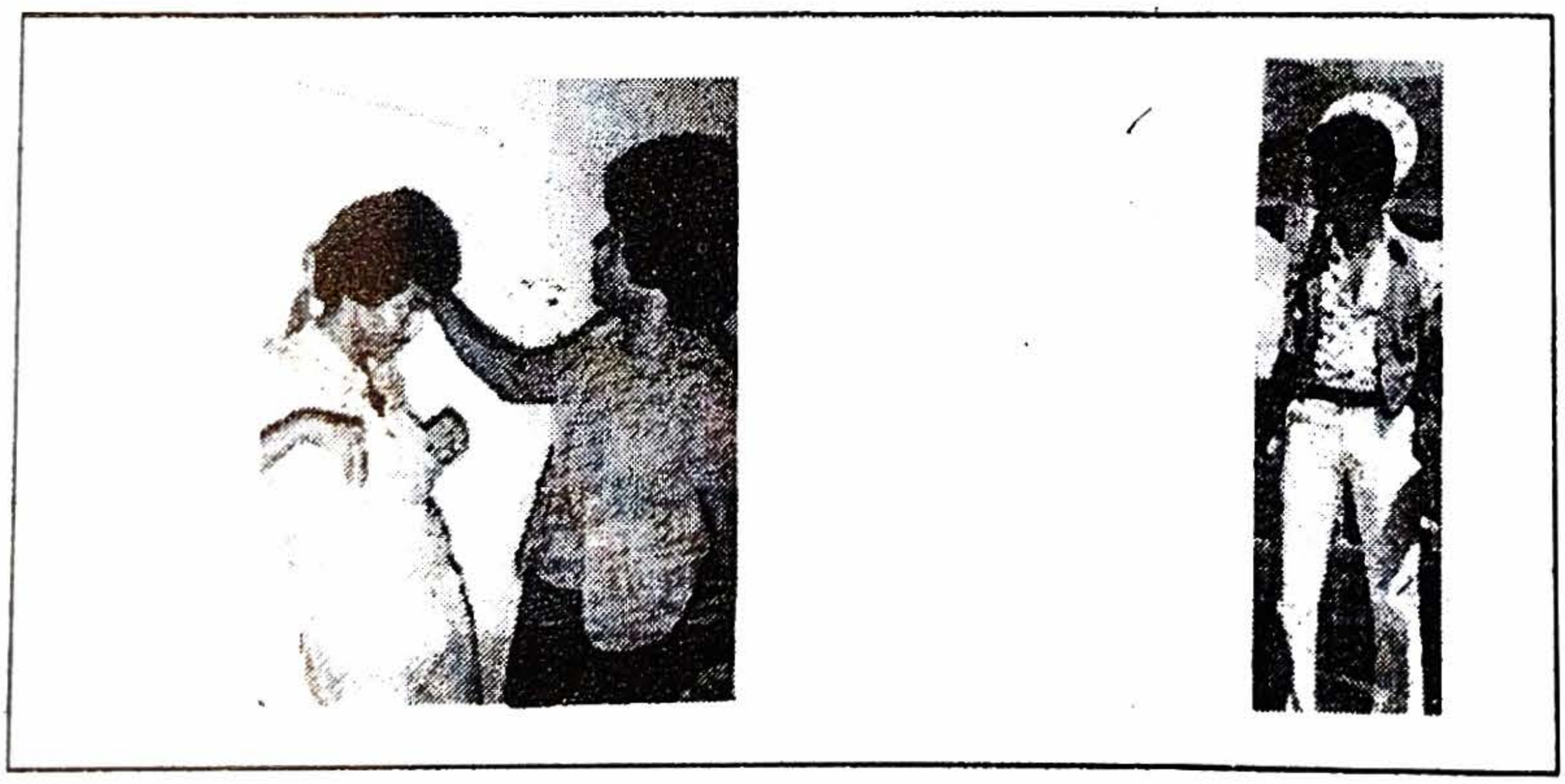

لـــم أكن أعلم أنها الرحلة الأخيرة في حياتى العملية، لم أفق إلا بعد أيام، من هذه المستشفى إلى تلك وتدحرج كل شيئ من حولى، الدموع في عيون الجميع، ما الـــذى يحدث تعال يا صديقى دعوه يدخل لم يكن ذلك سهلا إنها العناية المركزة، جـــاء ويده في يد زوجته كانت تبكى وكان مرتبكا لم كل هذا الحشد؟ كانوا جميعا

يعمــلون ولــم اكــن اعلم كالعادة أخر من يعلم،مع أني لم أكن زوجا- ولن أكون بعدهــا. كانت الدقائق الأولى في مستشفى زائد العسكري غامضة وهادئة وكثيرة الــتحرك من الممرضات بجنسياتهم المختلفة عرب هنود إنجليز فرنسيين أيرلنديين وجامــايكيين وبعضــهم من قرينادا يا للعجب كلهم جاءوا لسبب واحد وإن إختلفت جنسياتهم.

اللغة الإنجليزية هي المتاحة بالنسبة لي – قليلاً- أحضروني صباحا وعند موعد الــزيارة انفجــر الهــدوء عن كثير من التواصل فعيادة المريض سلوك سودانى فالإســلام فى السودان نوع من السلوك أكثر منه عباده ميكانيكية رغم أن علتنا في ذلــك وقــبله وحتى الآن كانت فى التنظير الكثير. وبدأ عمل مجموعة من أطباء السودان. كان الدكتور بله ودكتور ممدوح – متزوج من عراقية وآخر متزوج من قريــنادا وأحدهم من نيوزيلندا أو ماليزيا لا أدري، جاء الأهل كلهم وزملاء المهنة فــي القوات المسلحة والأصدقاء وبعض من أعرفهم ومن لا أعرفهم. وطلبت من الطبيب أن يشرح لي، نظر لي مليــا وقال "هل أنت مستعد؟" فليحضر أهلك جميعا أم...أم...أم أم مــاذا يا سيدي؟ أريد أن أعرف وأنا المعني بكل شيئ لا أحد يعنيه الأمر أكثر مني!!! إنهم جاءوا من كل أنحاء الإمارات ومن سلطنة عمان والكويت والبحرين وقطر ماذا يحدث؟! لابد أن الأمر جلل. كانت جنازتي وحضرتها... إذن أنا محظوظ كــــــــل هذا الحــــــب؟!.

فــي منتصــف الســتينات كــنا صــبية نتــحرك من الخلوة -(الفكي محمد أحمــد أبو العزائم)- في وسط الديوم إلى أزقة الديوم (ديم بندا، الزبيرية، جيل ديم سعد، ديم عبدالكريم، ديم كارا، ديم القنا، ديم التعايشة، ديم برتي، ديم ابريش ديم طاهر، وديم تقلي... الخ)

وبعـــض أولاد المايقوما وكثير ما كنا نلتقي لنفترق، المدرسة الأولية ثم نلتقي ثانية في الثانوية وافترقنا ولم أذهب إلى الجامعة والتقينا ونحـــن صبية بسامكوك ورلي تشـــارلز والخـــنافس وصديقي (حمبولي) رحمه الله Let it be ولم نكـــن نعرف المعنى وظهرت السينما في حياتنا ومن قبلها الكرة والطيور والأشراك وأم قيردون ومقابر بلاع وفاروق، وكان الكبار يذهبون للدفن ونذهب لصيد الطيور ونغني كل ما يطلقه راديو أم درمان من الشرق والغرب وسينما والهنود حمرا وبيضا(وانتكا) والفـــس برسلي وكوهينور، كانت بداية علاقة حميمة لجيلي في تلك الفترة من تلك المنطقة مع موسيقى العالم فقط من الراديو.

قـــبل ظهـــور صلاح باب الله وصلاح عبد اللطيف والديوم جاز والنجوم جاز وانســـر والساوندر وكل ما تغنى به شرحبيل، وضج العمر بالشكوى والرحيل إلى عمر الجنون والخرطوم الساحرة ونحن ندلف إلى الخرطوم الثانوية الجديدة وكانت جديـــده في كل شيئ وكنا نحبو في رجولتنا وعواطفنا تصرخ بالليل الهادئ والحب الأول ورومانســـية العالم تحدق بنا وكل مشاكل حرب فيتنام وموت أكتوبر وأبواق مـــايو الحمـــراء وكـــارلوس ومذكرات جيفارا عند الجميع ومارتن لوثر ومن بعد ســـتوكلي وكـــار مـــايكل وانجيـــلا ديفز ومهرجان الموسيقى في الوود ستوك من هوســـانتانا وجيمـــي هندريكس وطال الشعر وأختلف الهم وظهر (الهيـــبز) وما أدراك مـــا الهيـــبز! اجتاحت العالم موجه الرفض، رفض كل شيئ، ولم نعرف كيف،كيـــف نرفض؟ وماذا نرفض؟ ولكن فليذهب كل شيئ لا نريده الى الجحيم - الحب في الشوارع ارفضوا الزاهي في خدرو ونرقص مع وليم أندريه وعمر قيلي والقولد متفرز الساوندرز ومصطفى قسم الله والبلوستارز ودردري.

أوائـــل عام ٧٧ كانت الأمور قد تعالت في داخلي، جفت مناهل الخرطوم على قلـــتها هجـــرها جيـــلي قبل ذلك كل الذين أو جلهم غير الموفقين في الدخول الى جامعـــه الخـــرطوم هاجـــروا إما غربا أو شمالا أو الى الخليج المقبره ويا لها من مقـــبرة للأحلام التي كانت كبيره وتخطت حدود الزوجة الجميلة والعربة الفارهة.

كـــانت خيـــارات عـــلمي وأدبي في المدرسة الثانوية تمثل كثيرا من التحدي، كان توجهـــي الفطـــرى أدبيـــا كـــنت أحـــب الأدب ومـــازلت ولكن أدبى كانت عارا (الطيـــش)،كـــنا صـــغارا فعلا وبذلت مجهودا ودخلت قسم الرياضيات الإضافية وتركـــتها بعـــد فتره إلى الأحياء. لم يكن في ذهني أن أكون مهندسا أو طبيبا بعد يوليـــو كـــان هاجســـي القوات المسلحة وكنت مبرزا في التدريب العسكري وكان هنالك سبب آخر إعالة الأسرة فأنا الأكبر والجميع من حولي يحتج على استمراري فـــي الدراســـة أهلي كانوا! حول المدرسة في العربات التاكسي لا يمر يوم دون أن أسمع "أطلع ساعد

أبوك كفى دراسة أبوك تعبان ". أحسست بأنني لو دخلت الجامعة فقد أكون مجرما فـــي حق أسرتي. لم أوفق لأسباب كثيرة من بينها الخوف من القوات المسلحة بعد يوليـــو ١٩ (موت الكثير من أبناء الشماليين) والثاني من الجبهة الديمقراطية وهى عـــلى زمننا كانت،كالختان أو حنة العريس،هي درجة الوعي المثلى لديها الأقوى في الأدب والشعر والكتاب وكان لها البريق العالمي (أرنستو شي جيفارا) حركات الـــتحرر العالمية والأفريقية،جمال عبدالناصر، (لم أندم حتى اليوم على شيئ فلدي قناعة تامة بأن الندم مضيعه للوقت).

الوظيفـــة بـــلدية أم درمان عم حسن عوض – كابلي – سيد أردب – عباس مصطفى – حجازي أين هم الآن؟ علموني كل شيئ عن قيمة الوظيفة والحسابات رغـــم دوامة العمر في ذلك الوقت (السهر،الخمر،النساء،الحشيش،الإحباط) ويا له مـــن إدمان. كل شيئ كان سريا. محجوب شريف – الدوش– هاشم صديق – سعد الدين والحب – والدين والحرية وعركـــي، ولم أسمعها حتى اليوم محاولات ناجي القدســـى لفعـــل شيئ وكانت مقدرة ثم موت شاب غض رائع أسمه سامي يوسف ونمـــو تحـــت قطـــرات الـــدم ومهداة الى شبرين. دكتور محمد عبد الحي الغابة والصـــحراء والسمندل وعثمان النور أبكر – أنا أقف بين عروبة لا أدعيها وإسلام أعـــتز به إدمان والخرطوم تحترق ليلا بكل شيئ،أمن نميري وراء كل شيئ، وكل كارثة الهجرة هي الحل.

كـــنت فـــي الوقت مع أول المهاجرين القادمين قد أفرزت أدب الإحباط حان الزفاف وفي الليلة ديك، وبدأ الغضب يتحول من تجار السوق العربي والفقس وما أدراك ما الفقس الى المغتربين القادمين بخواتم الذهب والعربات (السيارات) والمتزوجين من أي من الجميلات وهم كثر.

كـــان بعض المغتربين يمارسون ضغطا نفسيا سخيفا مبرره بالنسبة لى كان الجهـــل والشعور بالنقص، لم تكن الغربة وحدها السبب بل جاءوها هكذا. لم تمر عـــلى اللعبة، كن يبحثن عن إقامة ودولارات وكنت أبحث عمن يريدني بكل عللى وجنونى ومسؤولياتى وفجورى ولم أجد ولم أندم ولكنى قذفت بكل معوقات التفكير الجاد إلى بوهيمية معذبة وأدفع الثمن الآن ولست نادما.

بـــدأ الضـــيق عندما بدأت الشقق والأحياء الشعبية في ذلك الوقت (الزعاب) (مدينة زائد الشعبية) حتى المرور والحضارة حتى يافور تضج بالعطالة والأعمال الهامشـــية، وبـــدأت المشـــاكل تزيد وسمعة الكثيرين تتداعى تحت وطأة الإحباط المتمـــثل فـــي الغـــربة أولا وفـــي اكتشاف سقوط الحلم الجميل بالاغتراب الرائع والدراهـــم التى تجمع في الشوارع وأمام البنايات ينكشف ويتعرى وحتى الحرمان مـــن كل شيئ ولد نوع جديد من المحبطين غير المدركين وغير المتعلمين حتى إن الـــبعض فكر في (سلطنة بروناى) التي تمتلئ بالذهب. أنا شخصيا كنت قد قررت أن أهاجـــر الى (أمريكا) فالخليج أخذ ويأخذ كل شيئ ولا يعطيك ما يكفي فدراهم الخـــليج مسكونة مسكونة مسكونة، هنالك خطأ ما في كل شيئ حتى فينا، والغربة ليست أقسى نضال وإنما أصعب ورطة وإن كانت جميلة أحيانا ولكن أقساها غربة الإنسان بين أهله وغربته حتى مع نفسه.

دخـــلت مجموعـــه من الأطباء في ذلك اليوم من يونيو ١٩٨٤م لا أعرف عددهم بالضبط أحاطوا بالسرير الطبي. تذكرت، طلبت منهم أن أعرف كل شيئ. كـــانت التاســـعة صـــباحا إبـــتدرني أحدهم وكان مصريا ضخما قيل أنه كان في بـــريطانيا مدة أربعه عشر عاما أغرته الدراهم فجاء إلى أبوظبي وهو يقود العظام فـــي مستشـــفى الشـــيخ زائد العسكري، والأطباء حين وقوع كارثة موقفان إما أن يخـــبروك مباشـــرة أو بتركوا ذلك للزمن قال لى "هل أنت جاهز؟" قلت "نعم" قال

"ومـــاذا تـــريد ان تعـــرف؟" قلت "كل شيئ" قال "حسنا، حدثت إصابة في السلسلة الفقــرية الصـــدرية الرابعة والخامسة وذلك يعني أنك ستقضي ما تبقى من عمرك على كرسى متحرك ولقد فقدت السيطرة على البول والفسحة وهنالك عجز جنسي كـــامل الملخص إنك لن تمشي ولا نستطيع أن نفعل شيئا ونوصي بسفرك خارج الدولة لإعادة تأهيلك"، "إعادة التأهيل؟! ما معنى ذلك؟!" إبتلعت الألم دفعة واحدة كـــانت دقـــائق طويـــلة سريعة ولا أدري طافت بذهني في تلك اللحظة كل حياتي وأحسست بأنني لم أفعل شيئا حتى الآن هنالك الكثير أريد أن أقوم به.

مـــرت ســـاعات طويـــلة قـــبل أن يـــأتى الزائرون "مع من أتحدث؟" الأسرة بالخـــرطوم؟ الوالـــدة؟ الوالد؟ يا للقسوة ماذا سأقول من سيخبرهم إن أكبر أبنائهم سقط عاجزا لا أحد غيري. طلبت من السستر (الفلبينية) أن تحضر شريط جديدا (كاسيت) وريكوردر. تصرفت بتلقائية اللجوء إلى الأمان،كحيوان جريح، وتحدثت إليهم عن تفاصيل ما حدث وما سيحدث الآن وما هو المستقبل؟ كان شهر رمضان يتداعى والعائدون الى أرض الوطن كثر. أخذت ظرفا ووضعت الشريط وانتظرت مســـافرا الى الخـــرطوم ليحمل هذه الكلمات إلى أهلي. كنت أتحدث محاولا بقدر الإمكـــان أن امـــنح القـــوه لمن يستمع ولا أفقدها أنا حتى لا ينهار كل شيئ تحت ضغط الكارثة.

إلى أيـــن الآن يـــا عجيب؟ إلى الموسيقى؟ أم إلى الشكوى؟ الشكوى لغير الله معـــاذ الله ولا حول ولا قوه آلا بالله. مهما بلغ بنا الفجور والعصيان وحين الكارثة يكـــون ضـــعفـــك لجوءا إلى الله ولن يشمت فيك الله. تلفت حولي وأخذت شريط فرقه تسمي Bad Company (باد كمبنى) (الرفقة السيئة) أغنية (أنا رجل بسيط) تـــناثرت الذكريات من حولى بلا خطوات أخطط للهروب قبل الحادث إلى أمريكا فالخـــليج هنا الآن، وقيل من قبل، لم يعد يفى بكل الأحلام أنا جئت من أجل توفير بعـــض السترة وتوفير ما يكفى للدراسة، لا بد من الدراسة وأحوال السودان كانت تسوء كل عام وكان تأجيل التفكير في الأحلام هو القبر.

الوالـــد ذهب إلى المعاش. تغيرت المهمة من أخ أكبر الى مسؤول أول على الأقل ماديا. أمريكا قد توفر فرصة وهناك على الأقل أنت في قمة العالم ماديا فقد تجاوزت الآن مرحلة الخطر والإغراء.

الموســيقى كــانت وما زالت هوايتى الأولى. كنا صغارا حين الإهتمام الأول ولا شــيئ غير الراديو وبعدها أدى ظهور الكثير من الفرق الموسيقية المقلدة الى فــتح أبواب الإستماع، لم تكن جيدة، ولكن (الطشاش في بلد العماية شوف) على الأقــل فــتحت لنا مجالا للنقاش بجانب المحاولات لإيجاد فرصه ذهبيه دائمة لحل المعضــلة. كــان القادمون من أوروبا وليبيا يحملون المسجلات وبعض الشرائط الغربية وجاء من ليبيا شريط لفنان ليبى إسمه (ناصر المزداوى)، لأول مره شريط عــربي بجــانب محــاولات (سامى كلارك)، من سوريا وروعة (فيروز) لم تكن غريــبة ولكــنها كانت مختلفة، هناك شرحبيل ومحاولات (وليم أندريه) القليلة قبل موته وهجرة (عمر قيلى). كان ذلك هم أرتبط بفترة تلت الهم العاطفى الأول الذي كــان قــد بدأ بــ (الليل الهادي) ونحن في السادسة عشر من العمر وأجتاح بعدها (زيــدان إبــراهيم) و(عمــر الشاعر) وعلى استحياء وبهدوء دخل (عركي) ومعه محــاولات (عبد العظيم حركة) مع أغنية (السباتة) والإسم الإذاعي الرائع (محمد ســليمان) وتضــاءل دور الفنانين الكلاسيكيين على الأقل في أذهان الشباب وهذا يحدث عالميا بعد انحسار موجة الرومانسية عالميا وتغير التفكير، كان ذلك طبيعيا، أعــتقد على الأقل فى ذلك العمر. وبعده بقليل عادت المشاكل السياسية وبقوة ظهر نــوع مــن الشــعر والغناء لم نكن نعرفه أو لعله كان بداية هم جديد (الوطن) ثم الحبيــبة الوطــن والوطن الحبيبة.. (التجاني سعيد) والود (عمر الدوش) و(محمد وردى) وســريا الــبت ســعاد دقت الدلوكة وأغاني وطنية أخرى لــ (محجوب شــريف) ومشــتاق ليك كثير والله. وتغير الهم فعلا وانحسرت المساحة الصحفية للتــلقي وبــدأت أشــكال أخرى للإبداع وتوارت وتغيرت من مسرحية (الرفض) و(عــبد الواحــد عبد الله) الى (نبتة حبيبتي) لــ(هاشم صديق) كان (يوسف خليل) و(صلاح تركاب) وحتى (البلابل) رغم كل شيئ (أحلام زمان) و(بناديها) وتوارت الحبيــبات في تواري سن المراهقة وتغيرت الأحلام والهموم وتغيرت حتى طبيعة

الأشـــياء في أذهاننا وكل له هم وكلنا أولاد بلد حين اليأس إما العقل أو الثورة أو الهجرة –وإن سميت هروبا في ذلك الوقت– ولكن ظروف كل على حدة تؤدى إلى طـــرق أخرى للحياة. وأفترقنا بعد الخلوة وبعد الأولية وبعد الوسطى وبعد الثانوية ونحن الآن نفترق وربما لا نلتقى.

تذكرت كل ذلك وأنا أحاول أن أتماسك تجاه ما يحدث لي "وركزت شان البت سعاد" وما شفتي ود الزين العودو خاتى الشق وإن وقع كتر البتابت عيب، يا بلد يا شـــعب أنـــا قليل من ما يحدث لى وكثير من الإعاقة هناك. تماسكى يعنى تماسك الآخـــرين وفقـــدت القـــدرة على البكاء ونسيت الدموع الا قليلا، أو وحيدا أو في وجـــود أقـــرب الأصدقاء (عثمان)، أحب الناس، (لن أستطيع أن أرد إليك وقفتك معى فتلك الظروف كانت نارا أظهرت معادن الرجال).

ذات صـــباح ثلاثاء جاءنى رجل من غير وقت الزيارة، أتذكر يده فلقد كانت ســـاخنة، وذلك يعنى ليلة طويلة وحمراء، رغم سنه فاحت الرائحة، وقدم لى عدد الثلاثاء من جريدة الخليج وخرج. ولم يكن هنالك أحد سوى الممرضات تصفحتها وفي العمود الأخير، أحدهم يكتب عني شامتا فيما حدث لى، أصبت بدهشة غريبة مـــا هـــذا أيهـــا الهمـــام؟!!! أهـــذا هو الوقت المناسب للشماتة؟!!!! أي نوع من السودانيين أنت؟!!!!! وفي جريدة الخليج؟!!!!!! كنت أظنك قدوة !!!!!!! كنت أول مـــن حدثـــنا عن (بحيرة البجع وتسايكوفسكى والجريمة والعقاب وناجي القدسى) وبشـــرتنا بعالم جديد وأتخذناك أستاذا !!!!!!!! مساكين الأساتذة تطلق الكلمة هكذا، يا حليلك وحليل موية المطر التى تعبت منها "تعبت من موية المطر ومنحتنى قوة لـــم أكـــن أظن أنها داخلى خرج الألم من داخلى كحذاء قديم إلى درجة من الوعى الجديـــد تحـــول الألم، لا يوجد أحد في العالم رجلا كان أم امرأة يستحق أن يكون مـــثلا أعلى لأحد، شكرا لك فأنا هنا الآن. قويا ومعافى الدواخل وأنت تهتز خوفا وخجـــلا وتواضـــعا إلى درجـــة الانحطاط في ذهنى، رغم ثقافتك، لم تصنع منك الأحـــداث رجـــلا كمـــا فعلت بى فأهلنا يقولون (الدلق ما بقيف) تعرف (الدلق) يا أســـتاذ؟ عفـــوا كيـــف حـــالك الآن؟؟ هـــل تســـتطيع أن تواجهـــني بعد كل هذه الســـنوات؟؟؟؟؟". فقد أرى عينيك إذا تمكنت أنت من النظر إلى عينى، ويا لك من

مسكين !!!. وضعت الصحيفة جانبا وتناولت إفطارا وأنا أتحدث إلى (بولت)، فتاة مـن جامايكـا تعمـل في مستشفى أبوظبي، كانت صديقة خاصة لصديقي العزيز (سيف) الذى هاجر إلى أمريكا، كانت تظن أن سفره هروب منها قالت لم يتزوجها لأنها ليست عذراء، واجهنى هذا النقاش مرة أخرى في مستشفى لعلاج المثانة في ألمانيـا في مدينة ميونخ ، لم أستطع أن أدافع. أعلم أنها الحقيقة نحن في السودان رغـم أننا ندعى التحضر أحيانا يخرج من دواخلنا هذا الفهم (ليست عذراء). قد نصفح ونتجاوز عن ذلك، ولكننا لن ننسى، حتى أنا تعرضت لنفس التجربة ولكنى لـم أهرب، قلت " قد أغفر ولكني لن أنسى"، مع بنات أوروبا وأمريكا حين تكون هناك – لظروف الإقامة والوجود الشرعي – أنت مطالب أحيانا بزوجة – وإن لم تسـتطع الصـمود ماديـا كـان أو معنويا – ولكن سودانية؟! لا أظن. ربما نجح البعض، ولكن مع كثير من المن والأذى يسود العلاقة إلى الأبد. لا أدري الآن مع ظهور كثير من أمراض العصر والتي من بينها السحاق كظاهرة أتمنى أن تحاصر قبل استفحالها.

لـم نتحدث عن التجربة العاطفية فالحديث فيها ليس صعبا ولكنه شائك ويحتاج المـرء للرحيل فيه الى كثير من الحذر الذي لا أحبه. حين دخلت التجربة الأولى مـن نظره من خلال نافذة بص للترحيل أحسست بقلبي يحتج بشراسة شديدة على تعطيلـه مدة بهذا الطول وعرفت لحظتها وأنا في الخامسة عشرة أنني حملت هذه الـتظاهرة القويـة فـي داخـلي تجاه (إخلاص) وأنا في الثامنة، كنا في المدرسة الأولية، مجموعة مدارس تحتفل بنا وزارة التربية والتعليم بمناسبة عيد الإستقلال، أعـلام وملابـس وجمباز كنا معا في نفس الصف ونفس الميدان كنت حين أراها أحـس برغـبة شـديدة في البكاء لا أعلم السبب، نركض معا بعد الانصراف الى مـنزلهم هى وأنا وإثنان من أصدقائي لا أذكرهم، نطلب ماء يشربان ولا أشرب. سـألت عنها قالوا تزوجت وهى في إحدى نواحي أم درمان، سألني من سألته هل أعـرفها؟ قلت "لا ولكن كنا أطفالا فهي لا تذكرني ربما ولكني....". كان دخولي إلى الـتجربة الـثانية إن حسـبت الأولى محاطا بمفاهيم (قيس بن الملوح) الحب العـذري ولكـني لا أظـن مطلقا أن هناك حبا عذريا إلا لأنه محاط بقيم وتقاليد

ومحاذير وحدود تمنع الإحساس الحقيقي الكامن من الظهور وإلا لماذا تحب وانت (ذكـــر) وهى (أنثى)؟! لا أعرف بالتحديد كيف ولكن تظهر مع العلاقة بعد دخولك مرحـــلة الـــزجولة مـــن مرحـــلة الطفولة علاقات أخرى والغريب أننا بطريقه ما نســـتطيع أن نفصل بين الحب والجنس ليس تماما ولكن مكرهين وتستمر علاقات مـــن نـــوع وأخرى من آخر في وقت واحد وإلى حد بعيد من العمر وأحيانا حتى بعـــد الـــزواج فلزوجتك ومعها أنت تمارس الحب ومع الأخريات فتلك دعارة او شهر والغريب أنك تختارها من بين أخريات إذا كانت من بيت تجاري أو من بين العديـــد من الراغبات في التعامل معك بهذه الطريقة في نوع من العلاقات تختلف ويختـــلف منطقها من الحب بمعناه الأوربـــــــي والعالمي وبين المقابل مهما كان مـــالا أو عقـــارا أو شكلا إجتماعيا مكملا للصورة في حضورك وسط الجميع من مجـــتمع صـــغير كونته ضرورة، وسرية هذه العلاقات وأحيانا عدم معرفة الناس بطـــبيعة العلاقـــة أو خـــداع من شاب أو رجل تظن معه أنه يحبها ويحرص على وجودهـــا معـــه حـــتى تتفاجأ بزواجه أو يتفاجأ هو بطريقه أخرى من نجاحها في الـــزواج، والغريب أن هذا النوع من الجنسين قادر وبطريقة ما على الزواج دون أيـــة مشكله ونسميهم بالمحترفين من الجنسين ولا خوف عليهم صدقوني. الضحايا الحقيقيـــون لهـــذه المفاهيم هن كثير من الفتيات اللائى يعتقدن ويصدقن أن نظرية الحب الغربية تصلح في السودان ويتفاجأن بعد فتره بأن من يحببن تزوج من فتاة تقليدية ويصطدمن بعبارة (برمج بعقليتك وتزوج بعقلية أبوك) يا للهول ما كان من الأول فلقد فات الأوان.

ســـألتني إحداهـــن وكنا في الفروسية، ديسكو على أيامها الأخيرة مع (فتحي الحـــاوي) وهو الرجل الأول في هذا المجال دون منازع حتى في ألمانيا قالت لي إحداهـــن وأسمها (جير بترود) لا أعرف في السودان إلا (فتحي BN) كان بارعا وتركتها للتجار أخيرا،قالت "صديقك لديه علاقة أخرى" وألحت علي حتى أرهقتني قلت لها "(دى علاقة ودى علاقة) البيحصل في دى ما بيحصل في ديك ولو عاوزة دي تبقي ديك الله معاك"، هدأت وسحبت يديها من على الطاولة ومضت ولم أرها مره أخرى.

نحن نرقص على حبال كثيرة، جميعنا نرقص على حبال كثيرة، وحين تكون جادا لا يصدقك أحد.

أرعبــلي حملت إحداهن وقال الطبيب أنها عذراء، ولكنها حبلى وحين فهمنا توقفت من ممارسات كثيرة بعد ((غفر الله للسينما الهندية فلقد أبكتنا دهرا))

المدرســة الأولية. كانت مدارس المجلس قد بدأت تأخذ بجمالها ألباب الطلبة، وفي منطقتنا كانت مدرسة أستاذ النور (النور خضر) أطال الله عمره هى الأجمل ولكــن من منا يريد أن يكون تحت أستاذ النور، كان ومازال يسكن في نفس الحى الذى نشأت فيه مجموعة ديم الجوامعة والتعايشة ومدرسته كانت في المايقوما التي يفصل بينها والديوم شارع ترابى، كان للرجل مكانة مازال يحتفظ بها حتى اليوم وســط الكــبار وكان الهلع يدخل إلينا في أي مكان يظهر فيه ولو على بعد بعيد. قامته الطويلة واضحة حيث ظهوره نفر كالفئران. صدقوني لم أسلم على الرجل أو أحييــه إلا في عام ١٩٩٤م حين وفاة خالى حسن ود البيه " إزيك يا حسن" لأول مره منذ نعومة أظفارى أقول "أهلا يا أستاذ"، المرة الثانية قلت وكنا في غداء لعقد قران "السلام عليكم" قلت وأذكر جيدا لا يمكن أن نتحدث أو نخاطب الكبار إلا في أمــر جــلل "يا أستاذ، أستاذ ميرغني توفى الفاتحة" لملم أطرافه ورحل إلى عزاء رفيق دربه الطويل.

صلوا على النبى صلوا على النور يا محمد

النبى صلوا عليه

مجموعــة مــن طلبة المدارس الأولية وفى أيديهم وأفواههم مزامير جميلة يعزفون هذا اللحن ونحن من خلفهم لأننا لا نعرف العزف.

حساب التلميذ والإملاء وحصة الأعمال وحسن ود العرب. رحل حسن والولد والجمــل وحصـــة الأعمـــال وخالتي آمنة وسندوتش سلطه قبل الجرس بالــقرش الوحيــد الذي لديك وحين الإفطار العبارة الشهيرة (أديني حته) كانت رائحة طعام بائعات الفطور شهية لدرجة تجعلك تفقد كل ما تملك قبل أن يحين موعد صرفه إلا لميســورى الحـــال الذيــن عادة لا يقتربون منهن وأحيانا يجلبون معهم نوعا من

السندوتشـــات لـــم نـــرها في حياتنا حتى نوع (الرغيف) لا نعرفه. من أين يأتى هؤلاء؟ لا أستعير العبارة ولكن السؤال أقدم من حاضر هذه الأيام.

ويظهـــر الحـــاقدون ديل أولاد الوزراء. لم يكن معنا في المدرسة إبن وزير. أبـــناء بعـــض الضباط وأشـــهرهم كان في المدرسة المجاورة (أستاذ النور) كان (صلاح عثمان حسين) ابن الفنان.

في ذلك الوقت، لا أدري الآن في ذلك الوقت إذا كنت نظيفا على طول الخط أو الأول عـــلى طـــول الخط، فلابد أن تواجه الكراهية والحسد من بعض ضعاف الـــنفوس وهؤلاء كان لديهم قدره غريبة في إقناعنا بأن هذا الطالب له علاقة بأحد الأساتذة ويبدأ مشوار النقد الجبان حين تتعلم الكتابة بالطبشوره أو الفحم هى الأولى (.....) فـــلان الفلانـــي فـــي مزيـــرة في حائط أبيض والأكثر جرأة وحقدا في مـــراحيض المدرسة ويبدأ التحقيق وبسهولة شديدة يجلد الفاعل في الطابور بعد أن يمســـك به أولئك الأربعة الأقوى والأغبى من الطلاب، هل للغباء علاقة؟ لا أدري ربما.

الأول دائما كان (محمد نجيب) و(شرف الجزولي) الأول الآن ضائع وشُرف (طبيب) في لندن.

كـــان همنا حين رنين الجرس الأخير تصفية بعض حسابات أيام الإجازة مع القادمين للمدرسة من مناطق بعيده نسبيا وكانوا في موقف لا يحسدون عليه ومن ثـــم مريرة دكان (أبوشامه) وهو جد صديقي الوحيد بأوامر والدى (سهل أبنعوف) ثـــم الـــتوحه ومعى المجموعة المتبقية إلى عم (عبدالفراج) والحبال المشدودة على الأرض، وبالقـــرب مـــن المزيرة أذكر حتى اليوم الرائحة. أما نحن أو الأغنام يا للمقارنة ، نحن والأغنام ألد أعداء عم عبد الفراج رحمه الله وابنه الأصغر(عوض فـــروجة) كـــان ســـريعا ويكـــبرنا ولكني كنت دائما أدخل البيت قبل أن يلحق بى ورائحة تسالي عم (باب الله) عليه الرحمة تطاردني هى الأخرى.. (شقاوة أطفال)

كان ظهور التلفزيون في ميدان المايقوما وهو الأقرب وواحد ثاني في الساحة الشـــعبية شـــرق الديوم والدومات (حديقة القرشي) وهو الأبعد كان فتحاجديدا لكل شـــيئ. كـــان يقودنا في ذلك الوقت إبن خالتي (يحيى) يجب أن نتحرك في جماعة

ومسـلحين حـتى لا نخسر حربا قد تحدث في أي وقت او ظهور خطر ما فنحن أبـناء مـنطقة بعضـها واخطرها في ذلك الوقت (ارض الحيوان) شكله قديمة أو مشـاجرة منسـية قد تقود إلى حرب أهلية من نوع صغير ولكنه خطر بالنسبة لنا وعـلقة سـاخنة قـد تقودك إلى أن تكون موضوعا دسما للشماتة لوقت طويل لذا الحذر واجب.

في خضم ذلك قامت سينما النيلين وبعد عدة معارك تحول القسم الغربي منها لأبـناء الحلة الجديدة والسجانة، والقسم الشرقي لأبناء الديوم، أما الوسط فللجبابرة من كل المناطق. رائحة الحشيش،كنت أظنها من السجائر التي يدخنها أبطال الفيلم، بعـد وقـت طويل فهمت ولكن........ أين القانون؟ لا قانون إلا قانون بالحيازة والـبوليس السـرى وحـتى أقوى رجال الشرطة السرية في ذلك الوقت لا يمكنه دخـول سـينما النيـلين دون أن يناله بعض سوء فبقى كما هو عليه الحال حتى حطمها الرواد في فيلم (أبناء الرعد).

ولـم نكن حضورا ولكنا شاهدنا الغنائم من كراسي الدرجة الثانية وقطعا من قماش الشاشة العريضة.

حصة المطالعة، محمود الطماع جاءه فيل ضخم يشرب فطعنه محمود بالإبرة فمحمـود يعمـل خياطـا فغضـب الفيل غضبا شديدا وشرب الفيل ورش محمود والجوخ بالماء.

ذهـبت ومـعي المجموعـة إلى حديقة الحيوان في العيد بعد أن أخفيت إبرة الخياطـة وطعـنت الفيـل كثيرا ولكنه لا أحس بها ولا غضب وعدت بدون إبرة وبغضب شديد من حصة المطالعة.

الإجازة السنوية كانت تعني الكثير فيها (حفلات الختان) والأعراس ومباريات في كره القدم (منتخب الديوم) ضد (منتخب السجانه) برعي خليل وسوماك وعلوب يقـودون منتخب الديوم أما السجانة فيقودها حسن أشول وأحمد دقس والنتيجة فوز سـاحق للديوم على أرض السجانة وبرعي وعلوب من ابناء الحى ويصاب علوب ونحـن نـبحث عـن مشـاجرة لنتفرج ولكن عمنا(محمد على أبو راس) يحتوي الموقف.

المولـد ميـدان عبد المنعم، نادي الأسرة حاليا،مثال أسود ضخم وحلاوة المولـد و(جكسا) أحرز هدفا وأغنية (لى لا كلا حلاوة جكسا) وجكسا في خط ستة (ملابـس) وإنصاف جكسا وجكسا في خط ما فـي (وتر اللا اللا يا عبود) وخائن بائع حلفا و(ماجد كفرو فكا وجكسا كفرو ركا) ويا خائن أغنية (لإبراهيم عوض)، ولا خائن في أذهاننا إلا (محمود المليجي) وحديقة البلدية الخرطوم،لمقرن،الدخول مجانا للأطفال من كبري أم درمان ومطاردة السواري.

و(زعيـط ومعيـط) وتعالوا شوفوا إبراهيم عوض ومحمد وردي يمسك بابن خالتي (يحيى) ويسأله "إنت ما بتزيد طولك خمسة أشبار؟" قال له ذلك وهو يرفعه ولـم تكتمل الفرحة فمحمد وردي أستاذ أولية (ألا ما أجمل الوادي أحب...الهادي) كثير من الأناشيد كانت من ألحانه.

وبلدية بحري عبر توتي من خلال بحر البلدية دون سباحة وسندوتشات الفول والقطار في العام الماضى صدم بص السيرة وقبله باص لرحلة مدرسة أولية متجة إلى جبل أولياء.

والعيـد والغرق ومآسي النيلين والغرق وتحذيرات الأهل من السباحة فى النيل (إلفس برسلى) وإبراهيم عوض توأمان.

(إلفـس برسـلى) كان نجما قد بدأ بالأفول كان من مؤيدى حرب فيتنام التى شارك فيها ورفضها محمد على كلاى بحجة ان دينه الإسلام يمنعه من ذلك.

إلفـس كـان يكره كل ما هو جديد ولم يكن يكره أحدا مثلما كان يكره (الخنافس) وهى فـرقه بـريطانية بـدأت في إجتياح العالم حين بدأ العالم يرفع شعار الحب والسـلام دخـل (إلفـس) محـلا للموسيقى فى كاليفورنيا، لوس أنجلوس، لم يجد أسـطواناته إلا فى الرفوف الخلفية وكانت رائحة (المارجوانا) التى يتعاطاها هو وأكثر أبناء الأثرياء تلف كل شيئ، قال له صاحب المحل "هل قرأت أيها الملك ما قالـه (جـون لينون) عنك؟" - جون لينون هو عميد فرقة الخنافس وفيلسوفها - إندهـش وسـأله "ماذا قال؟" قال له وحزن لينون قال إن العالم كان صحراء حتى ظهر إلفس وأخضر العالم بظهوره وولدنا نحن نحمل شعارات الحب والسلام" بعد ذلـك بفترة إعترف إلفس بأن ظهوره كان صدفة وأنه إعتلى خشبة المسرح وكان

يقلد (دين مارتن) في غنائه و(توني كيرنس) فى كل شيئ غير الغناء (اللبس، لون الشـعر،... الــخ) وفي أول مرة حاول أن يغنى شتمه الحضور ولم يقبلوه فحاول إثارتـه بـتغيير الأداء والرقص فأنفجر الجميع بالتصفيق وولد إلفس وتغير العالم بعده تماما.

عـندما اجـتاح زيدان وعمر الشاعر الساحة في كل حى من أحياء السودان، زيدان، الكل يغنى لزيدان. أذكر ذلك جيدا الآن فـ (محمود عبد العزيز)، رغم كل شـيئ فيـه ومـن حوله، تجده في كل شاب صغير فلا أحد غيره. حتى الفنانون العـرب الذين سماهم نزار قباني قبل وفاته، رحمه الله، (بفناني الجهاز الهضمي) وجدوا طريقهم إلى شبابنا وأبرزهم والحمد الله كاظم الساهر.

لا أعـرف هـل فعـلا الطيـر المهاجر، رائعة وردي التي وجد وردى أحد الكمرونيين يحفظها عن ظهر قلب دون أن يعرف معنى كلمه واحدة منها، هل هى وغيـرها مـن أعمالـنا الغنائية أصعب على العرب؟ وهل مهم جدا أن يسمعنا العرب؟، المهم أن نسمع نحن أعمالنا. نحن نسمع الجميع ونحب الجميع وليس نفاقا ولكن هى قدرة سودانية خالصة وذوق يتسع للكل. فليذهب من لا يريدنا إلى حيث يشـاء وكـفى جـريا وراءهـم فـلقد أخذوا الأطلال من قبل من ديوان إشراقة لـ(التجاني يوسف بشير) ولم يكتب مثلها من إدعى أنها له ولم نقل شيئا أنظروا مـاذا يقدمـون فـي فضائياتهم من الفن السوداني؟ وماذا نقدم نحن؟ !!! ستونة يا مصـر !!!! أهـلا...أهلا. نحن لا نحتاج إلى صدقة أو (إزيكم كيفينكم) فهى نكتة وليست عملا إذا ما قورنت بما قدمه ذلك الفنان (لإدريس جماع) و(التجاني يوسف بشير) فكفانا ما لنا.

لا أعتقد أنه على أن أعرف (الهارموني) و(الكاونتربوينت) وأدرس في معهد مـا للموسـيقى لأعرف الفرق بين بيتهوفن وجيمس لاست أو الفرق بين (الود) لمحمـد وردي وأندريه رايدى و(أرحل) لمحمد وردي وتوزيع الموصلى. رغم أن (الود) أقل في الأصل من (أرحل) في كل شيئ والفنان واحد مع إختلاف التوزيع. سـادتى لم يطلب أى فنان فى العالم من الناس والنقاد أن يدرسوا ليفهموا حتى ذلك الوقـت وحـتى صدور قانون يمنعني من شراء وحيازة الموسيقى التي أريدها أن

تضـــيف إليـــنا مـــزيدا من التواضع فهذا المعهد لا يصنع فنانا والا لنسينا كرومة والكاشف وعثمان حسين وكل عمل ليس لخريج.

محطـــة ســـبعة. كانت في المغيب، وبداية الليل ملتقى للعشاق، وتلفون دكان (عـــبد القـــادر) وكان شرب الشاي وسط كل شباب الامتداد وضيوفهم والاستماع للتعليقات على الهزائم والإنتصارات هى الموضوع الوحيد لرياضيى الامتداد وكان أبـــرزهم (الصـــينى والساحر)، الهلال، و(ود الأمين) ودبري و(ود مالك ومحمود صـــالح وجميـــل) وأخيـــرا (عصمت) الامتداد. وهناك اكتشاف الفول فى مكان مدرســـة المرضى حاليا بابكير،وأشهرهم (عبد القادر) و(ود الكول) ولا شيئ إلا العشش لمن يأنس فى نفسه الكفاءة.

فـــي ذلك الوقت كانت الخرطوم الجديدة بنات،الأم،والكشافة البحرية وبازار الكشـــافة،على طـــول شـــارع النيل،وبازار الأحفاد والمليك بنات من أهم منتديات المجـــتمع الشاب، وكانت وسادة وثيرة نتكؤ عليها مع كل أبناء العاصمة وأحيائها. وكـــانت مباريات فى الأناقة دون إبتذال فالإبتذال فى ذلك الوقت كان معروفا تماما ولا خـــلط لـــلأوراق – حتى وإن كانت إحداهن ترتدى أي شيئ فأنت تعرف من هى؟ ومـــن معها؟. وكان للانحطاط مكانه ومجتمعه ومناطقه معروفة ولم نكن قد بلغـــنا القدرة بعد على الذهاب إليها في (الكريزي هورس) أو الـــ(G.M.H.) أو حتى في البيوت المعروفة، أما الآن فصدقوني لا أعرف فلقد اختلط الغث بالسمين وبتنا نقـــتل بعضنا في المساجد وفي رمضان ونذهب إلى دار الفنانين ونقتل فنانا لأن أحـــد المهووســـين ظـــن أن ذلك حرام والاختلاف حتى الآن حول الجلابية، ونحـــزن إن فقدنـــا مباراة أمام نيجيريا ومصر ونقول كيف يحدث ذلك؟ ونسينا أو تناســـينا أن الرياضة سمة من السمات الحضارية لأي شعب فأين نحن صعودا إلى الهاوية؟

الخـــرطوم حبيبـــتي. أنظر إليها، وأنظر إلى نفسي. من المعاق؟ أنا أم هى؟ ربمـــا العالم كله معاق وربما السودان بصورة كاملة الآن في ذهنى معاق بصورة تفتقر إلى العدل وربما نحن، وربما النضال الذى أعيا بدن خليل فرح قد أعيا كل المعـــاقين، وربما لقمة العيش التى توارت خلف ساعات اليوم القصيرة أصلا على

مجهـــود مـــن يعمـــل ولا تكفيه ولن تكفيه، أذكر الآن صغيرة لا تملأ الكف ولكن متعـــبة خائـــنة وطيـــبة ومثل عاهرات الريف لا تبسط كفا لثمن تتركه يلدس في الصـــدر الله للشاعر والمفلس والصعلوك حيلما تضمهم دروبها آخر الليل مشردين أيـــن هو آخر الليل؟! فهو أصلا لا يبدأ لينتهى حتى الأغنيات صارت حتى الحادية عشـــرة وقال الشاعر: طفلة في المدائن سيدة فى، أنا كنت أخرج حين أعود إليها كـــل عام فى أى وقت. أرهقناها بالسهر والجنون ولم تغضب كنا هناك في الغابة وفى هيلـــتون وفى شوارعها المضيئة كالنهار وأبناوها يرحلون في مثلثها الرائع بيـــن (القـــود شوت) في بحري و(السكى) و(الريفيرا) أو (الجندول) في أم درمان وكل أناقة سهر الخرطوم. دون حقد ودون أخرى - من يدفع الحساب؟!!! - كلنا ندفـــع، وليدفـــــع من لديه، والآن ذهبت إلى شارع الجمهورية ليلا كان له ساقان صـــارت ســـاقا واحدة مظلمة وقبيحة بعد أن كانت مضيئة وراقية والشوارع من حوله تضج بعبيرها!!! من المعاق أنا أم هى؟!!!!!.

أنت الآن تفتقدين كل بريقك وتتحولين إلى ريف في كل شيئ إلا العربات القديمة. هل تعرفون أحدا من أبنائها يركب عربة جميلة؟ ربما البعض لشيئ ما يفعلون، لا أعرفه ولا أريد أن أعرف.

فى زماننا كان أولاد الذوات قليلين، وعلى قلتهم كانوا أولاد بلد، حين تقترب تشـــم عطـــرا مختلفا لا تعرفه، وإذا أقلك في سيارته - فكما قال محجوب شريف لـــوردي - يفســـدك ولا تحـــس بأنك أغبش فعلا، وصدقوني ذلك ليس له علاقة بالحمـــام، له علاقـــة بالراحة. أما اليوم فهم متشابهون في كل شيئ حتى في أنواع العطـــور والشـــرائط وحفلاتهـــم بنفس الفنان ويغني غناء لا يعنيك ولا يشبه حتى خرطوم ١٩٦٠م ونحن نتفرج !!! أنظر إلى كل شيئ. القضية ليست قضيه أسمنت ولكن من يسكن الأسمنت. من يدفع الثمن؟ وكل يوم في مجنون جديد في الشارع؟! أهـــلا!!!. (صلاح الطير) و(قعر بابور)، صلاح الطير،الولد(يمني)الأم من الدينكا كان وسيما لدرجة لم أعرفه رأيته صورة في يوم قديم. كان يغني لـــ(دين مارتن) و(رى شـــارلز)- أحب فتاة، رفضوه والسبب واضح،لم يحتمل، وقيل أن زواجها

كان في الخريف. هو الآن هناك في ذاكرة الكبار أجمل مخلوق وفي ذاكرتنا نحن مجنون هو الآن يتلحف شوارع الديوم وسكان الديوم أو من تبقى منهم قادرا يحنو.

(قعر بابور) هو من نفس دفعتى في الدراسة ليس وسيما كصلاح الطير ولكن لـــكى يكون عاقلا، عليه أن يتحمل مسؤولية سلوكه وأن يدفع. أفهم ذلك يا صديقي واعـــرف. ولكن ما لا أعرفه هو سر عدائك المفرط للنساء فأنا رجل يحب النساء كثيرا. عافاك الله إن كنت مريضا وإن لم تكن...

قالت بولت وقد إنضمت إليها أخرى وأخرى "ماذا ستفعل الآن؟" قلت "لا أعلم بعد. ربما يجب أن أعتاد أولا على إمكاناتي المتبقية " لم أكن أعلم في تلك اللحظة أن هنالك لحظة أشد إيلاما من تلك قادمة وأخرى وأخرى !.

لـــم يكـــن الحضور الكثيف معتادا كما عرفت من خلال الأسئلة من (المترو) الفرنســـية سألتني "من أنا بالنسبة للسودانيين ومجتمعهم ليحضروا بهذه الكثافة التي بدأت بالسفير وأنتهت بسائق السفير -الذي كنا نسمية السفير في أبوظبي لأنه أكثر فهما وغرورا من السفير الطيب الوديع، قلت لها "عضو عادي دفعت الإشتراكات حيـــن كان النادي السوداني حلما وبعد أن صار واقعا لم أذهب إليه إلا مره واحده لأراه وكـــانت إدارته بين أولا د(الدبيبة) وأولاد (السجانة) والمايقوما أما البقية فلا أحـــد يهمه النادي السوداني ولا حتى السفارة"، في الأول كانت الطائرة السودانية أهم حدث لنا في أبوظبي وبعد ذلك بسنوات صارت نقمة وحتى الخطابات لم يكن هـــنالك أحـــد يريد خطابا باليد لأن القادم بالبريد كان يسهل إنكار وصوله وبالتالي التخـــلص مـــن الإلحاح الذي كان يزيد كلما زاد الضغط الإقتصادى في السودان. ((إلى أين وكيف ولماذا ومتى؟))

أدنا منى زميلى في الدراسة وصديقى عوض (FOX) قائلا "الجماعة ديل مالم معـــاك؟". كنا في الخرطوم الثانوية الجديدة في تلك الفترة من بداية العام ١٩٧٠م، كـــنا في نفس الفصل وجئناه معا من المتوسطة ولم نكن نعرف شيئا سوى الدراسة وقليل من الحب اليافع، كان اليسار أنشط وأوسع وأكثر بريقا ولكن الإلتزام صعب حيـــث كـــان يتطـــلب الكـــثير من الجهد وتوفير الوقت وتقسيمه ما بين الدراسة

والاهتمام الشخصي بما نحب كل حسب هواه وهواه هذه بالنسبة لي وله كانت هى مفـــترق الطـــرق، أنـــا أحب الجميلات والموسيقى والسهرات الصغيرة والكبيرة واللـــقاءات الصـــباحية فـــي الطـــريق إلى المدرسة وفي طريق العودة والتخطيط للأمسيات، لقاء أول الليل وبعدها المذاكرة وربما السينما ولكن اجتماعات لتدريس نظرية ما لاتجاه ما فذلك ليس مهما على الأقل في تلك الفترة، فصنفت أنا من قبل اليســـار بـــــ(حبيب)، أو بتاع بنات من قبل الإسلاميين على قلتهم كانوا من أبناء الأقاليم وغالبا من الكبار سنا حتى لو كانوا في نفس الفصل كان هناك الناصريون بقيـــادة الأخ (طـــه ميرغني) وهو دفعة ومعه بعض القوميين العرب والبعثيين من الـــنوعين، أما مجموعة الختمية والأنصار فهى لم تكن أحزابا ذات طرح واضح، فهى أقرب للطرق الدينية ولم تكن تعنى إلا فلكلورا مضحكا أحيانا بأهازيجها.

بعـــد حركة ١٩ يوليو والإعدامات الشهيرة –وإعدام البعض من أسرنا مباشرة أدى ذلـــك إلى تحولـــنا من الحياد إلى الإنحياز رغم أن عملية يوليو نفسها أفرزت حقائق مريرة من ضمنها أنه حتى قياديى الطلاب لم يكونوا مدركين تماما معنى ما ينـــتمون إليه، وكم هى هامة معرفة كل شيئ وكل معنى حتى تواجه المستجدات، ســـبق ذلك موت عبدالناصر الذي أدى بدوره ولزمن ليس طويلا إلى تنامي حركة الناصـــريين لفـــترة ثـــم إنحســـارها بعد أن أحاط بها بالنسبة لنا إمتحان الشهادة السودانية وتحولنا إلى الحياة اليومية وواصل البعض من الجامعات وسافر البعض لدول أوروبا الشرقية والعراق وسوريا ومصر وبعد الانتفاضة كان (طه ميرغني) سكرتيرا للحزب الناصرى ولا أعرف أين هو الآن ولا أعرف شيئا عن البقية إلا (عـــوض FOX) فهو فى أمريكا ولا أحد منهم ينتمى إلى أية جهة إلا الحق ولكنه أيـــن الآن؟ فنحن نأكل بعضنا وسقطت كثير من القيم ولم يبق إلا حلم إبن البلد مع مـــن؟ عـــلى كل كان كل شيئ إنفعاليا في داخلى وقبل إعدام الهاموش(عبدالمنعم) و(ودالـــزين) مع ميولى أصلا لليسار وإعتماد الدينيون أو الإسلاميون على أشياء وفلســـفة لـــم نكن أو أكن جاهزا لها في ذلك الوقت فكنت أعتقد أن الوقت ما زال مـــبكرا ولدى عمر وحياة أريد أن أقرر فيها بنفسى أولا قبل أن يأتى أجد ليخبرنى مـــاذا أفعـــل؟ وعلى كل أبناء الختمية هم مؤسسة اليسار إلى حد ما وربما يقودك

مجـــتمعك الخـــاص إلى توجـــه ما ويؤدى ضرب ابناء هذا المجتمع إلى تمسكهم بـــبعض، وبـــبعض ما دفع فيه إخوة لهم حيلتهم ثمنا، صدقونى ربما لو وفقت في الالـــتحاق بالقوات المسلحة لكان دافع تصفية الحسابات بين أهلي من الشايقية ومع الحكومـــات المتعاقـــبة كافيـــا أما لقتلى أو تصفية تشبه الثأر أكثر منها الإنتصار لأيدولوجية ما. فما زالوا يقتلون الإنفعال بالأحداث هو الذي قادني وقاد جيلي وما زال نحو اليسار ولكن معظمنا بعد العمل والوظيفة لا يبقى في داخله إلا التعاطف وكثير من الحزن على بلد لم يبق فيها طرح واحد يستحق الموت من أجله.

أســـتوك مـــاندفيل إسم لمعهد للتأهيل الجسدي للمعاقين جاء الاسم في حلول مطـــروحة بعـــد أن علمت بأن حياتى ستكون على كرسى متحرك وبعد أن سألت الدكتور عن القدرة على التحكم في البول والفسحة ومساحة قليلة من الإسقلالية فأنا أصـــلا كـــثير الحركة. تأخر السفر والتأخير كان يعنى مزيدا من المشاكل، وبدأت مشكلتى التى مازالت تؤرقنى (المثانة) والإلتهاب، دم أسود سيئ الرائحة وأعراض تشابه الملاريا، وكان من نتيجتها أن تحول سفري بعد توصيه من دكتور (بلة) إلى ألمانيـــا. وبـــدأ الحديث يطول والناس تأتى وأمتلأت غرفتى الكبيرة بالناس وعلب الحـــلوى والـــزهور والـــورد ولم يتوقف التلفون من الرنين، كان جسدى يتهالك وتحـــرك الجميـــع جمعـــوا مالا لا أعرف مقداره حتى اليوم والأسماء لا أعرفها رفضـــت المال. أقنعنى مولانا (الحلو) وأتفقت على أن يعطى المال لأبي وألا أرى الأســـماء. رفضت أن أرى الأسماء حتى أثبت الأجر عند الله وحتى لا أظلم أحدا كـــانت ظـــروفه صعبة، بكيت كثيرا أننى أتعرض لذلك لأول مرة لم يهزنى الشلل مثلما هزنى موقف الرجال من حولى.

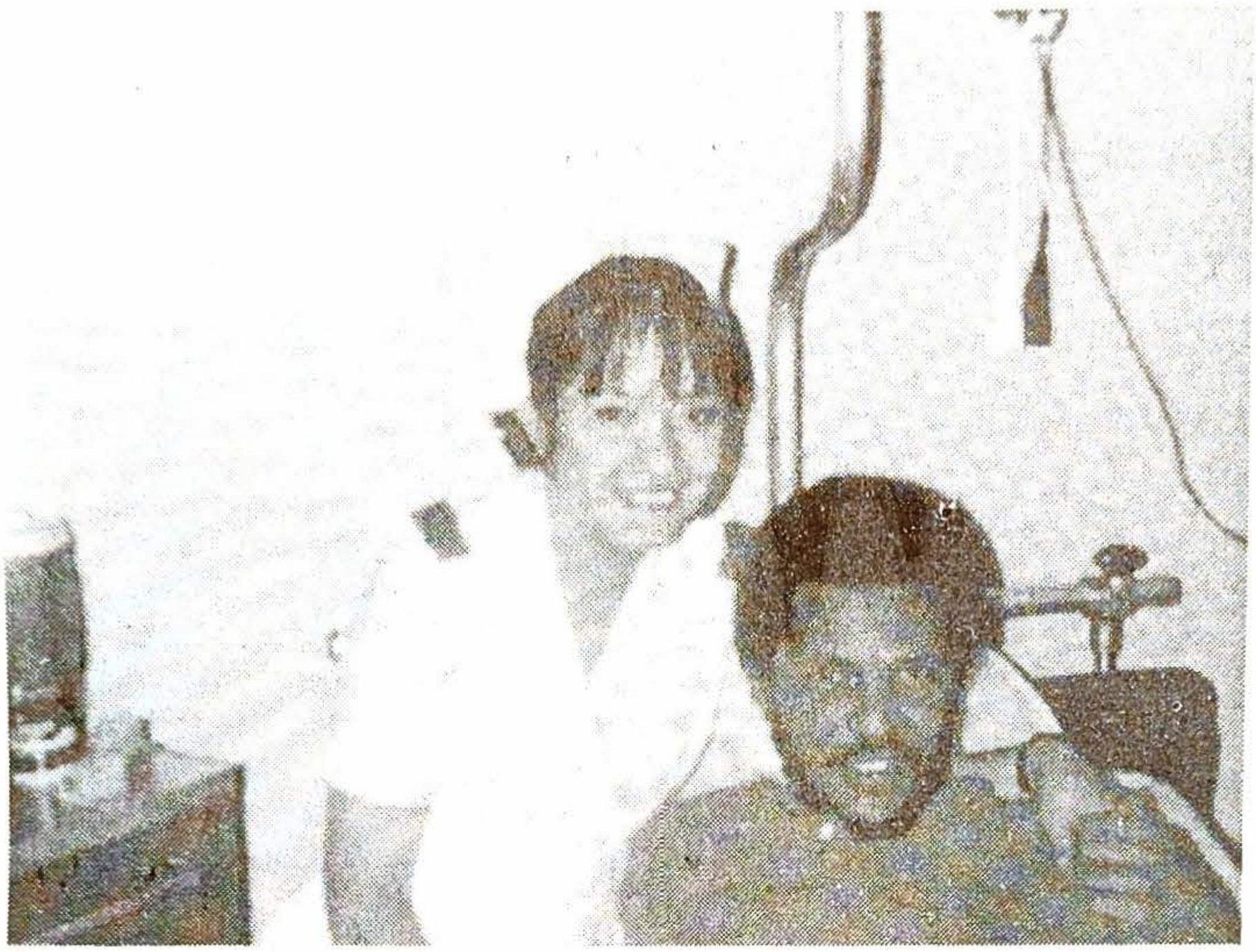

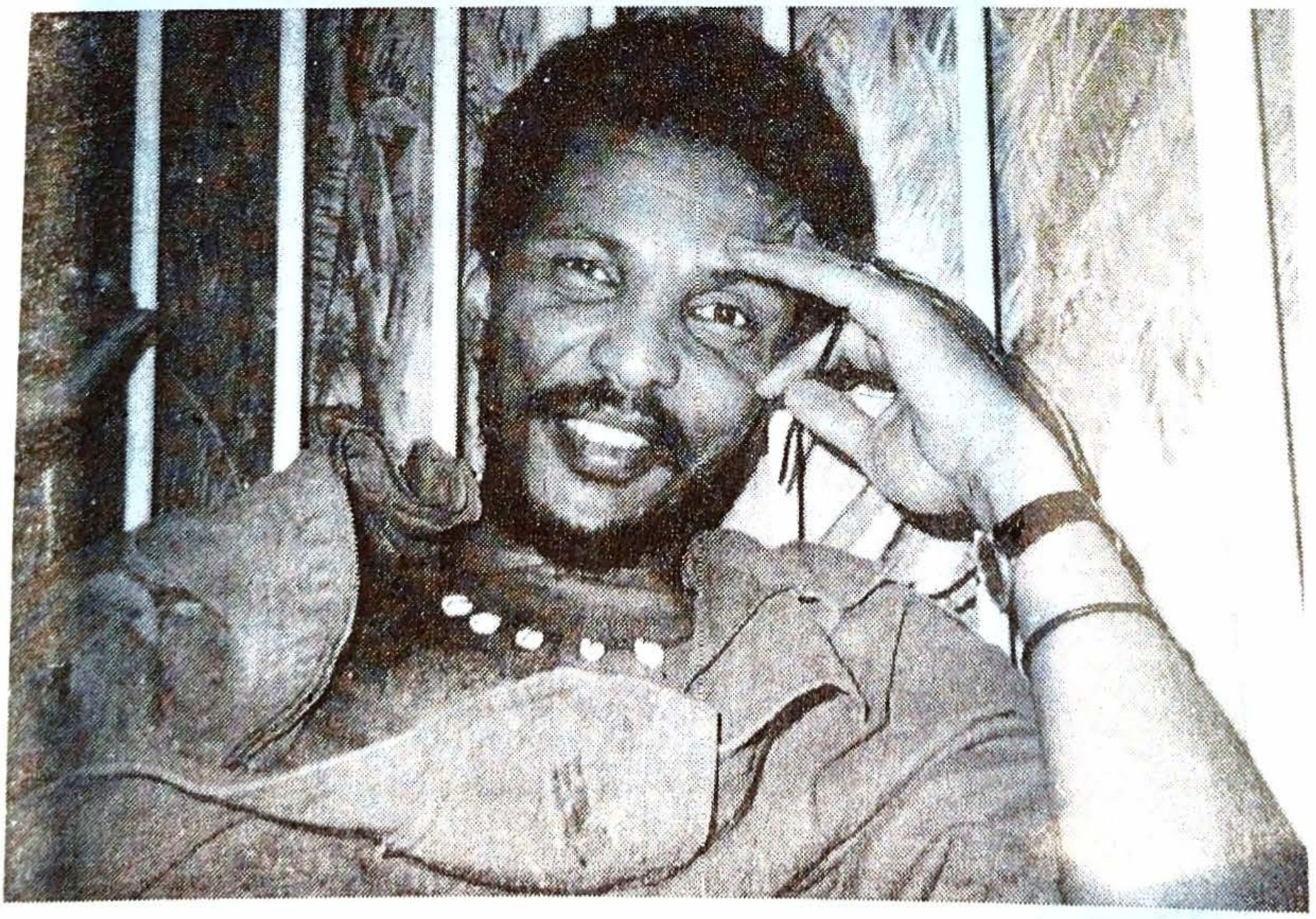

أحييكـــم جميعا من أعرف ومن لا أعرف. بدأت أتحسس حياتى الجديدة بحذر جاد ومن دون خوف وجاء الفرج كما ذكرت من الأستاذ على شمو. لم يتركني الجميع وحيدا أستمد منهم قوتي وربما يستمدون قوتهم من صمودي، كان همى أبى وأخى وأهلى وأصدقائى كان الإشفاق ومحاولة التماسك تقتلهم. من يسافر معك؟ قلت دون تردد "هذا الضعف والموقف المعقد يحتاج إلى صديق (عثمان) لا أحد يحتملنى إلا هـــو فقط عثمان و(عامر) في رومانيا و(يوسف) في القاهرة و(عوض) في أمريكا – هـــم الذيـــن خـــرجت بهم من حياتي في إمتداد الدرجة الثالثة وغربتي العاطفيه الأولى التي ندمت عليها بعد إعاقتى كثيرا –". (كاسك يا معلم. بلا معلم بلا كلام فـــارغ، جـــنكم إنجليزي، ما ياهو الثلج قدامك إنت شابكنى تشيرز تشيرز مية مرة قـــلت أنـــا بكـــرة الإنجليزى بلا فلسفة بلا كلام فارغ السودانيون حين السكر إما يتحدثون الإنجليزية أو يغنون للشفيع أو يمشون بيوت الجماعة. احتج صديقك على ســـفرى إلى أوربـــا "ستكون مشكلة"– صديقى ذاك كان فاكهة القعدات في أبوظبى كـــان مهمـــا جدا ودونه لا ضحك لأن الكثيرين كانوا يبكون من خيانة عاطفية و فشل فى حب قديم، هذا الصديق لا يحب النكد ويقول "النكد ياتى من التفكير قال أحدهم إنه نسى أن يأخذ شامبو في إجازته الأخيرى وحين طلبته إحدى أخواته من القريب فهو يسكن الخرطوم ٢ ذهب غاضبا في العاشرة صباحا إلى محل تصوير ماركت فوجـــده مكتظا بالنساء كالعادة فهى العاشره صباحا ترك القبض صاحب المحل النساء وسأله مباشرة "عاوز حاجة يا شاب؟" قال سريعا "شامبو قال غضب "بالبيض يا شاب؟" رد سريعا وبغضب شديد"بالبيض يا تافه؟، راجل كبير كدة وما تخجل؟" وكانت مشاجرة إنتهت بكارثة. من على البعد أحييك يا (...) على كل الحب ومعـــذرة فـــأنت أجمل من أن تنسى، أبو ظبى مليئة بالتناقضات ما بين الخرطوم وبحـــرة وأم درمان وما بين أبو ظبي وسبعه بيوت في الشارقه ومسكر بنى فرب السطوة وأم القيوين وجنوب البريمى والكويتيات حتى بعد ذهابه إلى عجمان ظل (بـــراق) براقا ونكاتا (ذراع) من مدنى مملؤ الوجدان وين إنت يا زعبة (واتعشيت يا فار) جيمس .عملاق التحرير.

اول خطـــوه بدأت في مستشفى زائد، عليك أن تبدأ برفع جسدك كله بواسطة ذراعيـــك، كـــل شـــيئ الآن يعتمد على الذراعين. لم أنجح. حملوني إلى الكرسى المـــتحرك أول مـــره فقدت الوعي ورحت في إغماء. ثم إعتدت بعد مرتين ثلاثة ولكـــن (القســـطرة) كـــانت مزعجة. تخلصت منها فيما بعد في ألمانيا. ذهبت الى ألمانيا بعد توصية الأطباء ومن الأستاذ شمو فله علاقة بالوالد، فأبي رحمه الله كان ســـائقا حكوميـــا وبعد أن كان في زمن اخر ليس ببعيد يقود الترماى، كان يحدثنى عـــن (حســـن بشيرنصـــر) وعن (البخارى) وعن رجال عاشرهم حـــتى (مبارك زروق) وكيـــف ساعده حين كان وزيرا عندما صدم الوالد أو عندما صدم الترماى شـــاحنة خواجة وأعتبر الترماى وأبى على خطأ وغرم والدى جنيها كاملا وطلبوا مـــن الحكومـــة دفع تعويض للخواجة، وكيف قدم الإستئناف وبالصدفة كان مبارك زروق حاضـــرا وقرأ الإستئناف وتحدث بالإنجليزية مع القاضى وربت على كتف والـــدى وقـــال له "إذا حصل شيئ تعال في مكتبى" وحسمت القضية وأعيد لأبى الجنيه وكان كثيرا حينها.

جـــاء على شمو إلى الخليج في زيارة وساعدنى بعد أن قابله أبى وذهبت إلى ألمانيـــا، وأنـــا راحـــل للعلاج على أمل سراب أن يكون معى كالـــعاده ديـــوان (أمـــتي الوعى والحلم والغضب) لـــ(محمد المكى إبراهيم) كانت الطائره تهتز وأنا على نقالة وبجانبى صديقى العزيز (عثمان)، جبال الألب تفعل ذلك.

كما ذكرت سابقا تخلصت من القسطرة في ألمانيا فقد أعطونى (كوندوم) وقد طـــورت كل شيئ نوع الكاندوم وطول الكيس وتخلصت من التهاب المثانة. بعد ٦ اشـــهر فى مستشفى (بوقن هاوزن كرتكسن هاوس) في ميونخ. العلاج كان طويلا أخـــبرنى دكتور بلة وهو يعيد لي كتاب أمتى أن محمد المكي إبراهيم كتب قصيدة هايدى هناك وكثير من القصائد وحدثنى عن الألمان فهو كان متزوجا منهم، وحين ذهـــبت إلى ألمانيا حدثنى (أمير) و (مضوى) عن (النورأبكر) المتزوج من ألمانيه أيضا.

كـــانت الـــتمارين متعـــبه جدا. أولا التركيز، عليك أن تعتاد،كيف تجلس في الهـــواء؟ فـــأنت لا تحـــس بمقعدك. عليك أن تتوازن برأسك. التوازن النفسى ثم

فالتوازن الجسدى فى المقام الاول مسالة شخصية بينك وبين نفسك. عليك ان تجد صيغة لإحداث ولو حد أدنى من القبول والفهم ولا أعنى الاستسلام أن تقبل الشلل فلا أمل على الإطلاق مهما فعلت للشفاء والعودة مجددا لحالتك قبل الاعاقة جسديا ولا حتى نفسيا. لذا لديك إمكانات متبقية حاول أن تتعامل مع الحياة من جديد رغم أنفك لأنها الواقع. هنالك فرصة للتخلص من كل هذه المعاناة وهى الانتحار ، هذه الفرصه حرام. ثانيا ده نوع من التحدي وانا أحب التحدي. ثالثا الإحتجاج ، التذمر لـــن يجدي بل يحول حياتك وحياة الذين من حولك إلى جحيما وهذا ليس من حقك وليـــس مـــنطقيا. لذا بدأت عملية تمارين أوليه لتقوية الساعدين ومحاولة استعمال الكرســـي بمساعدة قليلة شيئا فشيئا تحركت داخل المستشفى ولكن خارجيه منعنى الـــبرد والجهـــل بالبلد وساعدنى بعد ذلك الأخوة هناك فى كل شيى ومارست حياة طبيعية لم تخل من النقاش.

بدأت التمارين باشراف نسائى، يعنى لا أمل في التخاذل (عيب) وبدت معي تجربـــتى الإجتماعية الأولى حب إستطلاع لديهم ولدى، كان كافيا لبدا في التعامل معـــا وفي خضـــم هـــذا التعامل تكتشف أن المشاعر لا تعاق وان السيطرة عليك وعـــليها يزداد صعوبة كلما أزدادت ثقتك بنفسك وتنسى الإعاقة وتبدا أولى خطاك وأول درجـــات وعى مـــن نوع اخر. دخلت بهدوء وسط المجتمع هناك. اعنى ما أقـــول. التعامل مع المجتمعات أفضل من قراءة كتاب. ولكنى دخلت تحت مراقبة مضـــوى وأميـــر وعثمان ومأمون كانت الحياة مربوطه بأعمارنا نفس انهم كجيل أمير ومضوي والفولفو وبداية حياه جديده. قال الطبيب الألماني (قدوسكى) اصله مـــن أصـــول بولـــنديه يهوديه لا أمل لإجراحه ولا أي شيى ستفقد يديك ولا ارجله المجازفـــه. قلت "الكرسي هو الحل؟ إذن إلى الكرسى وسريعا فلا ربح ان اضيع زمـــنا أريد أن أرى أو ربما..." إندهش قال الذي بجانبه، تماسكه يعود الى عقلية المسلم ربما تدين بعد الحادث.

أكـــتوبر الأرض تغـــني وأكتوبر الفين خبر يتصدر النشرة الرئيسة مظاهرة طلابيـــة إنـــتهت باطلاق نار من الطلاب على الشرطة وإصابة أربعة من رجال الشـــرطه هم الآن بغرفة العنايه المركزه. أكتوبر ١٩٦٤م مات او استشهد (احمد

القرشـــي طـــه) كانت الشراره لاكتوبر ٦٤ م. ولكن بعد ستة وثلاثين عاما اطلق الطـــلاب النار على الشرطة لا تعليق. كنت أقرأ في أيام علاجي وقبل الحادث فى الســـودان المأزق التاريخى وأفاق المستقبل ولم يتنبأ الكاتب بما حدث اليوم. وهو (محمـــد أبو القاســـم حاج أحمد) ولكنه كتب وقت ما من ١٩٨٦/٨٥م عن السودان تشـــكيلات الهوية ومصطرعات التركيب وكتب عن الشهابية السودانية والطوائف اللبنانيه والآن قد اتضحت الرؤيا ولم يدر بخلد أحد من طلاب فترتى أن يطلق ولو على كلب النار.

كانت إعادة التأهيل مؤجلة بالنسبه لي في ألمانيا لأن المثانه لم تحتمل العلاج الخطـــأ فـــي أبوظبي ظلو حول مثانتي وتأهيلي حوالي التسعة أشهر عاد مرافقي (عـــثمان) بعـــد أن فقد وظيفته وأجل زواجه عاما كاملا من أجلي وما زلت كلما رأيـــت إبـــنه (أحمد) أحس بأننى سرقت عاما من عمره والأعمار بيد الله سبحانه وتعـــالى الذى لم يتخل عنى لحظه واحدة وأشكره على ذلك. سبحانـــــك ربـــى. كـــانت الخطـــوات الأولى حول التحكم في المخارج (البول والفسحة)، ثم تمارين العضـــلات والتركيز ومحاولة الاعتماد على الذات قدر الإمكان. فالإعاقة لا تكون قاسية إلا إذا فقدت القدره تماما على الحد الأدنى من الإستقلالية وهو محورها حين يجـــد المعاق نفسه عاجزا تماما ودون حد أدنى من الإستقلالية في الحركة واللبس وتـــنظيف نفســـه يكـــون الضيق ملازما. كان علي من اللحظه التي أعلمني فيها الأطـــباء بإســـتحالة العـــلاج وشـــرحوا لى أن أكثر ما يزعجهم فى عملهم الطبى إصابات السلسله الفقريه وتمنوا كما أتمنى أن يجد العلم مخرجا لهذه المعضلة. ما حـــدث لـــي يمكـــن أن يحـــدث لإى شخص في أى حادث أو عملية من عمليات الغضـــروف قد تؤدى لا سمح الله لقطع أو تعطيل في الأعصاب القادمة من أعلى السلسله مع الدماغ إلى باقى أجزاء الجسم مما يؤدى أحيانا لشلل رباعى أو نصفى قابلت أشخاصا وأحيانا فتية حالتهم أسوأ بكثير.

كـــان عـــلى أن أتواءم مع ما حدث نفسيا وجسديا. كان على أن أصبر على التمارين القاسية (المثانة والعضلات والكتفين) وتحمل التقلصات المزعجة جدا التى

سوف تلازمنى مدى الحياة وان أعلم قبل كل شيئ أنه قضاء الله وعلى أن أرضى بذلــك. فذلك أكرم لك وللجميع لأنك رضيت أم أبيت فما حدث قد حدث كان علي أن أجــد صــيغة أخــرى بينى وبين نفسى وأسرتى والأهل والأصدقاء والمجتمع تمنحــني القدرة على تحمل العجز الجنسى ولا يكون هو الفاصل المعني لرجولتى وهــو كذلك لدى كثير من الرجال في هذا العالم. ساعدنى الناس كثيرا بعد الحادث في أبوظبي الزملاء في القوات المسلحه والأصدقاء والأهل والمعارف وحتى الذين لا أعــرفهم مــن الجنسيات. ووقفت معى مجموعة من الشباب الرائعين في ألمانيا أميــر الماحي أسماعيل والأخ مضوي ومأمون وحيدر عبدالله شريف وكثيرين من جــنوب الســودان وشــرقه وغربه وشماله وأولاد بلد يمنحونك القوه تحس بعدها وأثــناءها أنه من العار أن تخذل كل هولاء الرجال ومن قلة الإيمان بل عدمه أن تظــن بالله الظنون. لم يكن كل الذين حضروا يعرفوننى وقد أنسى الكثيرين ولكن أتمنى أن يمنحهم الله الصحة والعافيه طول حياتهم.

أعود إلى السودان على كرسى متحرك بعد قليل من الانتفاضة ولم أجدها إلا فى بعض الأغانى. الحال يا هو نفس الحال. ربما المخاض، وربما البنب

المتاكا. كما قال محجوب شريف :

إن خلف الغفلة ردة، والأيادي المستبده لو حا نسكت مستعدة

هيلا هيلا وهيا هيا جمرة أكتوبرن حية

ولكن الزمن الطويل الذي قضاه نميرى فى السلطة كان قد أرهق الإنسان والحيوان والجــنيه. عــندما غــادرت لأول مــرة كان الجنيه يساوى ثلاثة دولارات ويزيد قــرشــا. قويــا وقيمــا. وكان ذلك حتى عام ٧٩ م وبدأ الترنح يلازم كل شيى تــرنـــح الإقتصاد فترنحت القيم وترنح الأمن وأخطر شيئ كان انحدار الوعي إلى الــدرك الأســفل والجميع تاه حتى الإنتخابات التي جرت تؤكد. أربعة من حزب واحــد فــي دائرة واحدة؟ والمؤلم لا أحد يعرف مرشحيه إلا الأسماء الشهيرة بأى شيئ حتى الحقد.

بعد قليل من حضوري بدأ الرحيل من جديد هذه المرة إلى موسكو (قوربانشوف) وبقية من أهل لى هنا ودكتور (يوماشيف) طبيب منذ عام ١٩٤٥م بدأ لي قويا لا شيئ يميزه سوى أنه له الجرأة في التعامل مع الشلل والنخاع لم أستطع الرفض جاء الوالد (رحمة الله عليه) وقال أن إبن عمك يطلبك في موسكو. رحلت ومعي أخى (خالد) كانت الحرارة في ذلك العام خمسين درجه تحت الصفر، قال صديقى (مصطفى) "لو تمكنا فك درجات دنقلا الأربعة منويات، لصارت بالروسي ١٠٠ درجه مئويه" ضحكنا وسافرنا وغاب الأمل وبقى الابتسام، أجريت العملية مجازفا متخطيا كل نصائح الألمان بعدم إجراء أى عملية. رغم انني قلت لأحد الأطباء الروس وأنا أداعبه من صنع المرسيدس لم يسطع شيئا فماذا تريد أن تفعلوا بهذه الموسكوفتش؟ طاردني دقائق ضحك وذهب إلى عمله. كانت تجربة الإقناع.

دلفت إلى الطائرة القادمة من أبوظبي ومعى ابن عمى (إبراهيم) استقبلتنى مضيفتان (سميه ونجوى) -أعرفهما من بنات الخرطوم حين كانت الخرطوم قادرة على إحتوائنا، صاحت سمية "بطل حركاتك دي وقم من الكرسي"، لم تكن تعلم ضحكت، وبكت بعد قليل ولم أراها ثانية هى ونجوى حتى اليوم. إختفى الكثيرون من الذين أعرفهم وعرفت الكثيرين بعد ذلك. حين حطت الطائرة فى مطار الخرطوم بدأت المتاعب ومتاعب من نوع جديد كيف النزول؟ في الإمارات وفى أوربا لم تكن مشكلة ولكنها كانت البداية. التعامل مع الشوارع مع عربات الأجرة والمواصلات عموما، ولكن، روعة السودانيين ما زالت باقية الليالى الثقافية لم تكن إلا واحدة والتى تمكنت من الدخول إليها بعد ان حمل أربعة من الشباب الكرسى وأنا عليه لألتقى بقصائد الأبنودى فى قاعة الصداقة وما زالت المشكلة حتى اليوم إلا فى منتدى الإثنين بمجمع اللواء طلعت فريد وفيه بعض العزاء. حتى دور الرياضة فهى هواية قديمة تركتها لأن أحد الإتحادات السابقة إتخذ قرارا بمنع المعاقين من الدخول حول الملعب لإجراءات أمنية وأبواب في قاعة الصداقة مغلقة لنفس السبب حتى والدى رحمه الله لم اتمكن من زيارته في المستشفى حتى رحل إلى الأبد - في الطابق الثالث أو الرابع لا أدري -.

يــوم الــثلاثاء فــي احد ايام الستينات الديوم الخلوة احدهم (تجيبو الفرعة والكــرامة) ونقــول حاضــر بصورة موسيقية عودان من الحطب وكورة صغيرة العيش ليوم الأربعاء (البليلة والنار والخلوة ما في الليلة الكرامة).

رحــل وسط العمر الضائع بين الإعاقة والغربة والبقاء الأبدى على الكرسى رحل (محمد عمر بشير) بروفيسور ورحل (على الملك) رحيل، رحيل، هنالك نوع من الأسماك حسب علمى حين يكون محيطه سيئا ينتحر بصورة جماعية. هل هذا هــو الســبب؟؟؟ رحل (مصطفى) وقبله (خوجلي) ورحل أبى ويا له من رجل. لم أحس بأننى عار أواجه ريحا ومصيرا مجهولا إلا حين رحل من الثانى الى الأول هكــذا كيــف تكــون مكان أبيك؟؟؟ شعرت بخوف عظيم كان الرجل جميلا وقوي ومضــى وكــنت أتكؤ حين الضعف خلف ذلك الجبل الألم، ضعفى وأمضى ولكنه غافلنى ورحل يا الله الرحمة. (محجوب عبدالحفيظ) عليه الرحمة قابلته مرة واحدة دار نقاشــنا حــول كيفية التعامل مع مشكلة المعاقين في بلد يــرزح تحت الحرب القاسية، والحرب أم ولود للمعاقين ولا نملك نحن في السودان معهدا واحدا للتأهيل جســديا ولا يعــلم المعاق ما الإعاقة؟ وعدنى الرجل بفتح باب كبير للنقاش ولكن القدر لم يمهله. عقد مؤتمر للمعاقين ويعلم الله وحده أين ذهبت توصياته؟؟؟؟؟. هل ما فيها كان القانون وإجازته وكيفية التعامل مع المعاق. وأنا أتحدث قبل ذلك كيف تكــون معاقا بصورة أفضل؟ وكيفية تجاوزها؟؟ المسألة فى الأول شخصية تعتمد عليك ثم بعد ذلك على المجتمع الطبى والإنسانى وتعود إليك ثانية ومرة أخرى الى قــدرة الدولــة الذهــنية والماديــة لتقــبل هذا الواقع والتعامل معه. إنعقد مؤتمر الإســتراتيجية وذهبت ومعي معاق واحد في مسيرة بدأت بشخصين فقط، لحق بنا الباقون، كان الهدف منها هو نظر المجتمعين إلى قضية المعاق، وكان في الخاطر أولا الإحصــاء الســكاني القادم، معرفة عددهم، الإحصاء هو الخطوة الأولى أما الخطــوة الــثانية فهى تفاصيل الإعاقة ونوعها، فأنواعها كثيرة. ثانيا الإستراتيجية تعــني قيــام جامعــات جديدة ومباني جديدة لكل شيئ نحن نريد التنبيه إلى عمل مداخــل لــلمعاقين في المباني الجديدة، مصانع وزارات أو حتى أندية الثقافة. كل شــيئ كل شيئ. الوظائف الحكوميه وغيرها يجب أن تمنح نسب لهم للمنافسة كل

حســب كفاءته وشهاداته وكنت ومن معي نود ان نقول للجميع قدموا ما تقدموه دون مــن أو أذى ولكن أن تحضر أسرة كاملة من أم وأب وأبنائهم إلى التلفزيون ويعــلن على رؤوس الأشهاد حاجاتهم ومن قدم لهم المساعدة دون مراعاة لمشاعر حــتى أطفــال الأســره؟؟؟ يجــب أن يكون ذلك علىالأقل حفظا لكرامة الأطفال وإحساســهم مــع قرنائهم بأن بيتهم بني بهذه الطريقة وأنهم تسولوا حتى بنى لهم بيــت. حــتى رخص الإستيراد وكل الأشياء التي قدمت للمعاقين في فتــــرة من الفــتــرات كانــت مرتعا خصبا لذوى النفوس الضعيفة من المعاقين ومن غيــر المعــاقيــن. وحــتى حــيــن قابلت بعض المسؤولين للمناقشة كنت حريصا على إعلامــه بأنني لا أريد كشكا ولا كرسيا ولا رخصة إستيراد. أريد أن أوضح وإن أصــل مع الجميع إلى درجة الوعي والتبصير بقضية المعاق حتى اكتشفت أننا جميعــا فى هــذا العــالم معــاقون بصورة أو بأخرى. وصمت بعدها إلا من هذه الســطور، وهــذه دعوه للنقاش أتمنى أن نضع السياسة جانبا ونفهم أن الوعى لا علاقة له إلا بالوعى ومعناه الإنسانى. فحياة + تعامل إنسانى = وجود متحضر

قابلــني الأخ (عثمان النو) وهو موسيقي شاب وقال أن لديه مشروعا سيرى النور في الأسبوع القادم ووجه لى دعوة لحضور الميلاد فى معهد الخرطوم الفنى اسمه الآن جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا – (عقد الجلاد) كان فتحا أعتقد أنه جديــد حســب أحلامى الخاصة بنوع من الفرق العالمة المتعلمة القادرة على تقديم شــيئ قــابل للــنمو ومــن بعد السمندل وعازه ومحاولات من الماضي لم تستمر لـــ(صلاح مزمل) و(احمد حمو) و(محمد حمو) في صوره بدت ومضت سريعا قدمــت (شــريف) و(شهاب) و(شهير) و(شرحبيل) ثم (ساورا). كان البريق وبالا على الدفعة الأولى البريق وظروف أخرى أدت إلى صعود وهبوط في الفرقة ولا زلــت موقنا بأنها الأفضل متى توفر لها المال والظرف المناسب. السمندل مضت بيــن أمــريكا والسودان والآن (الفاتح حسين) يحاول من بعد الدكتوراة وأتمنى أن نجد الفرصة لسماعه كمعاقين في مكان يحتمل الدخول. كان ومازال للمعهد العالى للموسيقى دورا جيدا في كل شيئ الموصلى يقاتل هنا وهناك قدم الجديد وفي بعض الأحيان جانبه التوفيق.

رحيــل (مصـــطفى) ترك فراغا يحاول عركى مع بقية عقد الجلاد بقدر من الــوعى بإســتمرارية تحيطهـــا عقبات كثيرة ومن بينها حتى صيغة للتناسق بين الشعراء والمبدعين لتقديم الأفضل للمتلقى المهموم بالتلقى الأفضل. خريجو المعهد نجحـــوا حـــتى فى تحويل قديم من (محمد الأمين) الذى استعصى حتى لجأ (محمد الأميـــن) إلى الأورج ثم الهجرة إلى (أسامة بابكر والفاتح حسين) والفرقة القومية وما يحدث من خلاف بين العلماء والحرفاء أرجو أن يثمر تنافسا يؤدى إلى المزيد مـــن الإبداع وليس المكايدة، ففجيعة ما حدث بين (هاشم صديق) و(محمد الأمين) و(عركي) وبعدما كانوا رموزا للوعى طوال ثلاثين عاما على الأقل في ذهنى وفى ذهـــن الكثيرين ما زالت تؤرق المستقبل الإبداعى. وهل من صمود يا (خالد حسن بشير) ورفاقه الصغار رغم شكوتهم المرة من الإعلام العالمي الجديد وتناقضاته.

أجـــزم الآن صدقونى بأن كل ما فعلته في حياتى لم أندم عليه ولن أندم فلقد ســـاعدتنى مجموعة التجارب بين الخطأ والصواب فى درجة من النضج الإيماني. قـــبل عـــامين مما حدث لى ساعدنى حتى في تجاوز ليس الشلل فقط ولكن السمو بقدر الإمكان فوق الشماتة من بعض ضعاف النفوس فرجل بلا أعداء عليه أن يراجع نفسه، والشماتة قد تلاحقك طوال حياتك ولكن الإيمان بأن ما يحدث وحدث كـــان مكـــتوبا قبل ولادتى فى اللوح المحفوظ، وأن ما حدث لى من بلاء قد يكون إمـــتحان وابـــتلاء والصبر عليه يعنى الكثير وإذا كان ما حدث لى عقابا على ما فعـــلت في حياتى من ذنوب لكنت الآن أرى الخرطوم كلها على كراسى متحركة، إنـــه القضاء والقدر وإرادة الله فوق كل شيئ والحمد والشكر لله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الهجـــرة الأولى فـــي سن الخامسة عشرة كانت نحو الحبيبة الفتاة الجميلة، ثم عـــدت بعد الهجرة الأولى إلى الثانية والهم الجديد وتشكيل الوعى لشاب يحمل فى دواخلـــه هـــم أســـرته وهمه الشخصى غير الواضح المعالم، ولكن مكوناته كانت تجربـــته الإنســـانية العادية على مستوى الطفولة وبداية سن الشباب وأشياء يسمع عـــنها ولا يعـــرفها حـــتى كل شيئ كان يبدو جديدا وذا معنى آخر حتى روايات (الطيـــب صالح) كانت قراءتها كل فترة من فترات العمر كأنك تقرؤها دائما لأول مـــرة أغنيات وأشعارا ومفاهيم كثيرة كانت تتغير، العمر يكون مرة واحدة فقـــط ١٨/١٧/١٦/١٥ لا يوجـــد عمـــر مكـــرر حتى الذكريات نفسها، الموسيقى، وفي الديـــوم وفـــي قـــلب الخرطوم إرتبطنا بشرحبيل دون أن نقصد حتى اليوم ونحن أصـــدقاء كـــل أغنية تؤرخ لفترة من عمرك كل شيئ مربوط بصورة أو بأخرى، برائحة أو أغنية أو معزوفه أو حتى شكل حيوان أو ساحة كانت مقابر وهي اليوم أنديـــة وميادين حتى الأسماء وأصواتها ونبات السنمكة وديم الجوامعة ودكان عبد الســـلام وعشنا في دنيا الصبابه وجكسا وأسبوع بحالوا يا سبت، (طه حمدتو)، كل شـــيئ مترابط يأتيك بغتة وأنت جالس إلى جوار (عوض كيتا) أما خالي (حسن ود الـــبيه) والذي أثر في حياتي بدرجه كبيره، أو معلم جمره في ملعب الحريه بالديوم وتمـــارين نجـــوم العاصمه و(طارق أحمد) اليافع أتذكر تماما (صلاح ود الشيخ) خـــال طـــارق وأحد نجوم الخرطوم والديوم في يوم من الأيام. أشياء تتداعى تأتى وتذهـــب (بشرى العوير قدومو طويل) وسيل من الشتائم،وصفارة الحكم يقفز إلى ذاكـــرتك إبـــراهيم توم رحمه الله (براى يا خلة) أغنية المرحوم (عمر عبده) وما أدراك ما عمز عبده، غير الديوم كلها من العنف إلى الفن والموسيقى وخلق مجتمع كان البادي فيه عم (قسم الله) الأنـــادي تحطمت وموسيقـــى(التوم توم) موسيقى شـــرق أفـــريقيا حرك الجنوب نحو الشمال، من زائر وجيتارات والساعاتية والآن زولـــو. كنا قد خرجنا طلبة مدرسة الإتحاد المتوسطة، كنا نخرج من قبضة النظام القـــوي للأستاذ (حسن محمود) الناظر (إستيف) إلى رحابة صدر الأستاذ(محجوب شـــورة) مديـــر الخـــرطوم الثانوية الجديدة. وكنا ندلف في ذلك الوقت إلى الفترة

العاطفيـــة الأولى، كـــتب فيها (حسين بازرعة) في الثانوية ما ظل حتى اليوم من أجمـــل الأغـــاني والألحـــان لـــ(عثمان حسين) رغم ظهور بعض الأصوات من خـــريجي معهد الموسيقى بأنه فرق ! صوتو فارق؟!!! ما فارق أنا أستمتع بعثمان حســـين اليـــوم وبعـــد كل هذه السنوات كما أسمع بيتهوفن في الخامسة والتاسعة والتيركش مارش. وفيها التجربة العاطفية السياسية الأولى وفيها كل الحماس ولقد كـــتب فيها الشاعر (محى الدين فارس) لن أحيد ومازالت قوية. كل شيئ في تلك الفترة كان يبدو ساخنا وجديدا ويستحق الموت من أجله.

وفـــي بدايـــة المرحـــلة كـــانت الأوضاع السياسية يسودها اليسار وقليل من الإســـلاميين وإغـــراءات الفترة مربوطه بالدراسة الجامعية والبعثات. أما الدراسة الجامعية فبعد قليل فى تلك المرحلة كانت خارج حساباتى أما السياسة فكنت أقرب لليســـار كـــان بـــراقا وطرحه إلى حد كبير أقرب لي كان معظم الطلاب فى كل الصـــفوف أقـــرب إلى اليســـار أو إلى الدراسة فقط أنا أخذت من كل شيئ حتى الستدريب العسكري كان أستاذ (السر) أستاذ اللغة العربيه، يقول "عليك أن تدرس أدبي" إقتنعت أولا ولكن مسار النقاش بين الطلاب يؤدى إلى تحدى لشحذ كل همم الشـــباب مـــن يـــأتى أولا رياضيات ثم أحياء ثم أدبى قبلت التحدى ودخلت فصل الرياضـــيات وقبل إمتحان الشهادة بفترة تحولت إلى الأحياء لأن الشهادة السودانية عـــلى الأقـــل كانت همى والرياضيات مغامرة وأنا أحاول كسب الوقت، شهاده- الكـــليه الحـــربية أو الشـــرطة أما جامعة القاهرة فكانت خيـــارا ســـريا من تحت الطاولـــة ودون أن يسـمع بك أحد حتى إنها لم تكن فى الإستمارة وإن كانت فلن يكتـــبها أحد لأنها شكل من الهزيمة، بعدها لم يتمكن الكثيرون من المواصلة ولم أتمكـــن مـــن دخول الشرطة ولا الكلية الحربية وبدأت موجة من الإحباط أدت إلى إحـــتراف الثورة على نفسى بالمخدرات والخمور، وعلى المجتمع بعدم الإحترام. كـــان الشعر الكثيف يدل على ذلك - بنطلون الدمورية وقميصها ثم الجينز. أذكر جيـــدا أن الكاريه في حلاقة الشعر كان مشكلة ثم جاء (إبراهيم عوض) بتسريحته العجيـــبة فأعتـــبر الكاريه تخلفا حتى وصلت إلى الأفرو وأشتهرت بالنسبة لها مع اســـتكلي كار مايكل وأنجيلا ديفز وهى داعية للحقوق المدنية في أمريكا. كل شيئ

تجربتي والإنقاذ ـــ

غيـــر ذلك تخلف الغربية أن الكاريه عاد ثانية والأفرو ما زال باقيا بإصرار شديد مع (كمال شداد) ربما صنعت لتوافق ا لكثير من الناحية الجمالية واكنها في البداية كانت وجهة نظر.

حتى ظهور البلابل والمجموعات الموسيقيه المختلفه كان إمتدادا لوجهة النظر فـــي كل شيئ، البلابل كن ظاهرة أثرت حتى فى الصومال وأثيوبيا فى كل أزياء البـــنات حتى فى كثير من البرامج نجد ملابس كل مجموعة من الفتيات بلابل فهى ظاهـــرة مضـــت وإن عادت الظواهر اليوم بعدد كبير وبرؤية مختلفة فشعار ذلك الزمان عالميا كان الحب – السلام – رفض العنف، لم يكن القيد الإجتماعى داخل الأســـرة وخارجهـــا مختلفا بقدر قيمة التعامل والفهم العام والخاص للفرد. لم يكن الرفض يشمل بالنسبة لى ولبعض أبناء تلك الفترة يعنى التخلى عن المسؤولية تجاه الأســـرة والمجـــتمع أو الخضـــوع الكلى وأعتقد أن ذلك قدر الشباب فى الظروف العادية لأي مجتمع فالتغير سنة الحياة، كان ذلك الخط العريض ولكن لابد من حركة داخل هذا القيد لن تتحرر منه مطلقا خارجك وداخلك وكانت قوية وصارمة وأحيانـــا متمردة ومجنونة حتى صنفنا تصنيفات كثيرة وفي النهاية اكتشفنا أننا فى جزيـــرة معـــزولة مـــتحركة يتحرك نحوها الكثيرون ويخرج منها الكثيرون حتى خرجـــنا مـــنها جميعـــا إلا القليل كان حتميا فالعمر لا يرحم والروابط نفسها التي حاربناها بصورة أو بأخرى ومع بعض التغيير الذي أسهم فيه الزمن وشباب ذلك الـــزمان (نحن) وحتى اليوم ضد أن يحاصر الشباب دون حد أدنى من الفهم حتى نـــتفق عـــلى صراع مفيد وليس مدمرا كما كان. كانت الغربة التى بدأنها تختلف وبـــدأت بصـــورة هادئة وبعد قليل بلغ الكثيرون أعمارا تعدت مرحلة الدراسة إلى الـــزواج، لـــم تكن فترة الإجازة السنوية كافية بالنسبة للعاقل منا لإختيار الزوجة فمهمـــا طـــالت لن تكون كافية وما نعرفهن تزوجن أو لا يصلحن لأسباب متعددة خاصـــة أو شخصـــية أو أســـرية وذلك ضمن القيد، حتى جاء البعض يحمل معه اللعنات التي صارت وصمة على المغتربين فأن هؤلاء على كثرتهم أصحاب عقل واحـــد، ولا وجـــه جميلة – وألف طوب، معظمهم إرتباطاتهم الأسرية والشخصية هشـــة حتى تفكيرهم كان محدودا وأعتمد على الصورة الفوتوغرافية أولا ثم على

الفيديـــو ثم على الترشيحات وأمتلأ الخليج بالزوجات وبالخيانة إلا من رحم ربى!، وعـــزف الكثيرون عن الزواج بهذه الطريقة وبدأت المأساه تتحول إلى أغنيات من أدب البـــنات وأشـــهرها (حبيبى فنتاستك)، من نلوم؟! من نلوم غير أنفسنا وغير إنحطاط الفهم للزواج وإنهيار أبسط المقومات وأهمها الإحترام للنفس وللآخرين!!! صـــدقوني لســـت نادما لأننى لم أفعل ولكنى كنت أحتاج كما قال- (أزهري محمد عـــلي)- أخيرا لإمرأة مبدأ وحين وجدتها كان الأوان قد فات فعلا أو ربما أعتبره أحيانا جزءا لا يتجزأ من إبتلاءاتى بالإعـــاقة لأنـــه العجز الجنســـى

فالـــزواج (عقد نكاح) هذا أسمه الذى ذكر فى القرآن وأنا شخصيا أفهمه على هذا السنحو. كثيرا منهن أختلفن معى فى فهمى ورفضت الإرتباط بهذه الطريقة ولكن ســـيظل هـــذا فهمى للمسألة وأعتقد أنها واضحة لأن القادرين والذين لم يوفقوا فى الإنجـــاب لم يرحمهم المجتمع ولم يرحموا هم أنفسهم. أعلم أن مسألة الإنجاب هذه مســـاله مكـــتوبة ولكـــن الممارسه الجنسية ممتعة جدا ولا أريد أن أحرم من أحب مـــلها، هذا هو الأمر ببساطة وهذا الموضوع (قابل للنقاش) بالنسبة للجميع. أتذكر الأن حين شعرت ببعض الإحساس تجاه فتاة معينة وتحدثت مع (عثمان)، كان رد عـــثمان بجديـــة شديده " باخى الإحساس الحلو دة جاء متأخر، أعمل حسابك" ومن يومهـــا مازلت حذرا ورغم الحزن فأنا أهتز كثيرا من الجمال الإنسانى والطبيعى حـــتى الإدمان. وهذا النوع من المعاناه قد يؤدى بك إلى الغيرة ثم الإكتئاب ثم إلى الجحيـــم وصدقونى كم أتمنى أحيانا أن تتعطل هذه القدرة ولكن من دونها سأتحول إلى بلاســـتك مان (PLASTIC MAN) وقد تكون كارثة أخرى، فالضعف والفشل والـــنجاح هى الإنسانية وأتمنى حتى النهايه ألا أفقد إنسانيتى ولكن من دون درجة جـــادة من التهور والتفاؤل ورغم ذلك في بعض الحالات أنا متهم حتى من أقرب الناس.

إن الإمكانـــات فـــي الســـودان صعبة وأصبحت تزداد صعوبه كل يوم حتى أوصلتني إلى الكتابة فصرت أجد بعد فشلى تماما فى التعامل مع كل المجتمع، بعد ســـتة عشـــر عامـــا مـــن الإعاقه أحس أحيانا بأننى من أهل الكهف حتى همسي، حديـــثي، طريقتي في التعامل، كل الأمور أختلفت كثيرا ولا أحس الآن بأننى قادر

علـى الإســتمرار إلا فى حــدود القديم قبل أن أستقل الطائره لاول مرة عام ٧٧ مغــادرا كــل شيئ وأنا أستقل كــرسيا لأغادر كل شيئ لأنني لا أصلــح – ليس لأنني معاق فقط – لأن الإيقاع قد تغير ولم أعد قادرا كغيرى من أبناء جيلى على التعامل، الأفكار، الإستعداد، اللامبالاه كل شيئ يبدو غريبا وأبدو (غريبا)، إلا قليل مــن العلاقــات المباشرة وكثير من غير المباشرة وأنا لم أعتمد يوما على أحد فى عمل أي شيئ وبعد الإعاقه والعوده صار كل شيئ يعتمد على الأخرين وعلى فهم الأخــرين وهــذا ما حاولت أن أفعل فيه شيئا ولم استطع إلا فى نطاق وفي حدود نفســى حــتى أحافظ على أعصابى وعقلى. ربما وجودى على كرسى وخروجى بصــورة كامــلة مــن تلك المناخات ووجودى دون قصد مع مجتمع جديد لم آلفه وأنس لم أفهم حتى من اهلى وأحيانا أحس بأنهم يقتربون منى بحذر كأننى حيوان غريب ليس لأننى معاق ولكن لتمردى السابق، جاءوا ليروا كل ما أحيك حول هذا المــتمرد الذى سقط وأعيق وصار عبرة لمن لا يعتبر. صدقونى ذلك لا يضايقنى ألبــتة، أعلم أن كثيرا من القصص حقيقية ولكن كثيرا منها أيضا لا علاقة لى بها ولكــنى أعــلم أن الله له حكمــه وأنا أجلس فى الشارع الذي تعب منى وكنت من بعــض فراعنته نموذجا لكل من يظن أنه فرعون زمانه. أبتسم أقول ذلك وأناقش فــلو لــم أكن معروفا فلا فائده من الدرس للأخرين وحتى لى. وأن لم أفهم أمس فاليوم أو غدا (فإن غدا لناظره قريب). إن كنت مؤمنا فالحل واضح وسهل والقدرة على التجاوز والمرور فوق الإعاقة مضمون (القضاء والقدر والإبتلاء) وان كنت لا هذا ولا ذاك فأرجعها إلى العقل فمهما فعلت لن تغير شيئا بل ستفقد حتى الرغبة فــي التعامل مع الاعاقة فهى بداية السقوط، قد يؤثر هذا ليس فيك وحدك ولكن فى كــل أعضاء أسرتك والمجتمع من حولك وتكون قد أرضيت كل شامت فيك فكما ترى لا مهرب ولا ملجأ من الله إلا إليه.

لم يشق أحدا مثلما شقيت أسرتى ولم أعق أحدا مثلما أعقت أسرتى، أمى التى أرى فيهــا سنوات العذاب الطويل والإعاقة التي تعانيها أكثــر منى وتحتمل كــل إنفلاتــات ضعفى الإنسانيه الواجفه ورحيل أبي إلى الدار الآخره ورغم إيمانى بأن الأعمار بيد الله أحس كثيرا بأن إعاقتى ربما كانت سببا فى تقصير عمره وأخواتى

الـــرائعات دوما اخوانى الاعزاء رغم الإختلاف فلقد كانوا ومازالوا اقوى سند فى تجـــاوزى لكـــل ما يعيقنى عن ممارسة حياتى بصورة أفضل دوما وكل الأصدقاء الأوفيـــاء مـــنهم من رحل (أحمد عوض، زاهر الحويج،عادل مكى نادر وسمير) رحمهم الله ومنهم من يحاول التواصل رغم قسوة الحياه (صلاح موسى- المعاق عبدالعليم، عزيز، حيدر، وأبناء سلام ١١ والإمتداد الرائعين) لهم كل الحب.

حين عدت بعد عام ونيف فى إجازتى الأولى قال لى بعض الأطفال إنهم راوا وســـمعوا (جيمى كلف) الفنان الذائع الصيت فى الخرطوم فى إبريل ١٩٧٨م كان أجمل صيف شهدته الخرطوم حتى مر شهرى يونيو ويوليو دون شمس.

مؤتمـــر قمة أفريقيا وشوارع الخرطوم أجمل وعلى وجه الخصوص شارع النيل وغابة الخرطوم كانت رائعة واكسلسيور وصحارى. بدأت بعض الحياه ولكن كـــانت هـــناك نكـــته عن القادمين من خارج الخرطوم فى البكاسي أهـــــلا قعر بـــابور" (من تك لي مفك، الحفاه العراة رعاة الشاه) كانت تلك عام ٧٨ ولكن أين هـــم الآن وأيـــن نحـــن !!! النكـــته أصبحت من (تك إلى كل شيى) ولم يبق فى الخـــرطوم حتى المفك، الخرطوم كانت على طول الخط والوقت وحتى اليوم تكن أبـــناءها،كل الأجيـــال وجيلـــنا قـــتله التـــنظير ونسيته الخرطوم لتستقبل كل أبناء (العوض) نحن جدفنا على الخالق من قبل الخلق والتكوين من قبل الخطيئة.

أشـــكر كل الأخوه الذين مازالوا يقدمون لى كل يد للعون ممكنة فى بلد الفهم فيها لموضوع المعاق ما زال فيه كثير من القصور حتى من ناحية العلاج الطبيعى المتخصـــص فـــي حـــالات مثل إعاقتي (سيف الدين صالح الأمين) كان اكثر من طـــبيب والأخ (صـــلاح)، دكتورة (هدى المنا)، الأخ الدفعة - رغم انه درس فى المقـــرن الـــثانويه ولنا فيها رأي في ذلك الزمان ونحن أبناء الخرطوم الجديده بروفيســـور (ألفحل) جميعهم من خارج السودان ومن دول المهجر من امريكا ومن أوروبـــا ودول الخـــليج ومـــن داخلـــه أشكر كل من فكر حتى فى أن يقدم لي يدا ويمنحـــنى دفئا فى برد هذا الواقع الصعب. كل بنات حواء في حياتي هن لحظات وســـاعات وأيـــام وســـنوات عمرى الجميل والمر وقدرى أن أبقى وحيدا. شكرا سادتى لكم جميعا. وشكرا حسين، موصلى، عركى، وكل بنات حواء فى حياتى.

كن

وما زلن وسيبقين

حديقتى وحر لقى بردى وسلامى

كل الألم

وكل الفرح المستطاع

من الأولى إخلاص

وحتى الأخيرة التى لا أعرفها بعد

فتيات حواء هن سنوات عمرى

الامـــتداد يصحو فى داخلى بريقا ويخبو، بتلاحق العمر سنوات قد تطول وقد تقصر.

حســن (عجيــب) والتســميه ألحقها بي عمنا المرحوم (محى الدين) وأسرته الكــريمه، أحاطوني بكل الحب وحملت وما زلت أحمل لهم كل التقديروالإحترام. عجيب كان يستعملها كثيرا د. (عامر محى الدين) ولصقت بي.

كــانت أيامــا لــلجمال والعلاقات الحميمه التي لا تخضع لقيود غير الوفاء التلقائي السوداني (سلوك أولاد البلد) مضت تلك الأيام كالحلم بين أغنيات (عثمان الخزين) والليالي الرائعه والسخط الدئم لــ (مليجي) –مليجي إسم إقترن في أذهان الــناس بأدوار الشر فمحمود المليجي في السينما وجاك ماهون في طرزان وبران في الهنديه- ربما يكون لــ(محمد الحسن قرني) إجابه فهو أدرى وأجاد دور الشر بصوره كبيره في كل الأعمال. مليجي الإمتداد جاء بالإسم من الحله الجديده وكل ســكان الإمتداد أو معظمهم من الأحياء القديمه للخرطوم، والتعدد يخلق نوعا من العــداء، خــلق طــبيعه سخيفه للإمتداد في فترة السبعينات وأواخر الستينات شلل تحمــل لبعضها الكثير من العداء وكان يهمنا الحفلات وكانوا بارعين لدرجه كبيره فــي تدميــر كــل شيئ جميل من حولهم حتى (سبيل الماء) ولمبات الكهرباء في الشوارع. وألسنتهم لاكت الكثير في سيرة الناس بالحق والباطل ولم أسلم منها ولم يســلم منها الكثيرون ربما هذا المناخ هو الذي أعادني إلى مناطق أقرب إلى فهمي وهى الديــوم أخيرا فهناك مقوله شهيره "عزاء فى الديم ولا فرح في أي مكان".*

أواخـــر عام ١٩٧٤م كان زواج ابن خالى فى المنطقة الواقعة من الديوم قريبا من حى الـــزهور كانـــت فرقة أولاد حى القـــنا تقود الـــفرح الجـــميل فى (أمسيات الديـــوم والصـــبحيات) العطا وبدر الدين وأغنيات فى الذاكرة (الليلة مالو سمير) (فـــارق ديومـــنا ألوالفا) الكاتب الشاعر الملحن والمؤدى من هناك كانت صبحية بالقـــرب مـــنى وبعيـــدا عـــن مسرح الأغانى كنت أقف وبجانبى شاب أنيق نادناه أحدهـــم:- (نوبا) ضحكت قلت أنت نوبا أنا حسن عثمان ضحك قائلا: عفاف قالت لســـمية: كان من المفترض أن نتعارف قبل ذلك بسنوات هربت من الاسم و هرب مـــن شكلى قال لى ذلك ردا على تهكمى وبعدها بأيام اتسعت الدائرة وربما أصلا كـــانت دائرة عرفت شمت ثم كابو ثم صادق ثم عزيز فنان كابو كان فنانا ومازال تشـــكيليا وهائما حتى الآن فى عالم يعتقد أنه من صنعه قال لى العم جرجس وهو تشـــكيلى قديم كلهم لديهم الإحساس بالألوهية. (مجانين) ثم عجب أفضل (در مر) ودر مـــر: معناها (عازف إيقاع في فرقة جاز بدأ بالديوم ثم كان محترفا وجاهزا لـــلجميع وهـــو الآن بالقاهرة. شمت بالقاهرة وهو الوحيد الذى تزوج من الأولى (الفيرســـت كت). First cut أعتقد أنه نجح. صادق كان صادقا مع نفسه بطريقته الخاصـــة ذهب إلي العراق ودخل الكويت وعاد أثناء فى الحرب الأهلية فى تشاد وذهب إليها ليقدم شيئا عميقا ومؤثر مفيدا له ولمن يحتاج أليه هرب من المادة في الخـــليج إلـــي الإيغال في الإنسانية في تشاد مع الصليب الأحمر نوبا في المغرب وليـــس فَـــي العمـــر الآن ما يكفي لكي يبدأ من جديد. عزيز لاعب (جيتار) رب الأســـرة وهو الأفضل رغم معاناته مع تربية رائعته(تمنى) وأخواتها كانوا معى وكنا معا لم نكترث لأحد ولكن الجميع كان يراقبنا لم نهتم وكان ذلك عمرا وتفرقنا لأن العمـــر أفضـــل وشكل لايهم ولكن تذهب الأحلام ويبقى واقعا أن نظل قادرين على الاستمرار بطريقة محترمة.

نحـــن فى الـــنهاية ابناء لهذا السودان لكل فترة همها هم يودى الى هم اخر وعمر يؤدى إلى عمر وتساعد قدرتك على الخروج نحو الأفضل وهذه مسألة قدرة وقدر خـــاص. لا أســـتطيع الكتابة فى كل شيىء فبعض العمر نساء والكتابة عنهن وقد تحولـــن إلى زوجـــات وربما مربيات قد يؤدى الى دخول فى خصوصية قد تؤثر

ولا أريد ذلك فبعض قيم هذا المجتمع يجب أن تحترم للعمر احترامه وليس كل ما يعـــرف يقـــال ولكن ما هو مطروح فى سياق الفهم العام والخاص لعمر محدد قد يـــؤدى إلى رويـــة قد تساعد فى فهم شبابية التفكير وغلوه لفورة الإحساس والنمو المطـــرد لـــلعقل إن وجـــد وكـــان قادرا على التمحيص والنصح فعمر الأنبياء له أحكامه.

إحـــتوانى الامتداد بعد الإعاقة وربما عدم القدرة على الحركة بحرية أو ربما لأن مجموعـــتى التى كانت معى وحولى قد تفرقت فى زحمة الحياة، وربما العمر الـــذى بـــدأ يـــذوى أو حتى إيقاعى الداخلى وبعض الحنين يحملنى أحيانا إلى هنا وهناك.

الإعاقـــة لديها طرائف. فى الإمتداد فى حفل لم أحضره ولكن أخونا وصديقنا وزميـــل الإعاقـــة الفـــنان (أنـــس) مغنى لا يتهيب الناس وعادة عندما يقترب من المسرح يترك الكرسي المتحرك ويتحرك بصورة تشبه الحبو حتى الكرسى العادى ويحمـــل العـــود ويـــبدأ بالغناء، صادف أن شاهده بعض أصدقاء العريس وكانوا مـــلحقين" فـــي عـــالم اخر لم يروا الكرسي المتحرك بل شاهدوا أنس يحبو نحو المســـرح وصـــرخوا فـــي العريس "ياراجل جايب فنان سكران لمن بيحبي وكان الحفل فى بدايته غضب أنس -لأنى رويتها فى إتحاد المعوقين- تحياتى أنس وأنت بعيد.

الكرسى المتحرك نفسه الإستغناء عنه يمكن أن يكون واردا إذا حدثت معجزة إلآهية أو عمل طبى خارق أو غير خارق أو أمور أخرى. فى إحدى المرات وأنا جـــالس فى إستاد الخرطوم وحولى بعض الأخوة من المعاقين على كراسى وغير ذلـــك جـــاء مـــراقب المباراة بعباءه وعمامه ضخمة ووقف وطلب منى أن أغادر الكرســـى وأتـــركه لصاحبـــه المعاق وأن أتوقف عن ممارسة "الإستهبال" قلت له بهدوء شديد "لاأعتقد أن الأمر يصل بنا لهذه الدرجه من الإستهتار لدرجة أن أقتلع معاقا من كرسيه المتحرك وأجلس مكانه" وتدارك الأخ (طارق أحمد آدم) الموقف وأقنعه بأنني معاق فعلا.

فى إحـــدى المـــرات كـــنت جالسا فى داخل عربة تاكسى أمام الفندق الكبير وحول العربة مجموعة من الشباب لا أعرفهم وطلبت منهم "عود ثقاب" أو "ولاعة" إنبرت لى فتاة من بين الجميع وقالت" أبسط حاجة لو الواحد إحتاج إلى حاجة حقو يـــنزل من العربية وبعدين يطلب" قلت لها مشيرا إلى الكرسى فى أعلى العربة "يا أخت الفوق دا صلات طيبة؟".

دائمـــا فى أى بـــرنامج كـــل الحضور تحتاج إلى كراسى وساهل جدا تمقلب الحضـــور لدرجة الحساسية العالية عندنا كسودانيين دائما بقول بهدوء شديد "أقوم ليـــك؟" بسرعة وبدون تفكير يأتيك الرد "لا ياخى خليك قاعد" أضحك كثيرا حين أســـتطيع أن أخـــلق جوا من المرح حول الإعاقة محاولا كسر الحاجز بين المعاق والإعاقة والآخرين وعلى فكرة أجمل حاجة تحضر زواج معاق.

عـــادة إذا كانوا فى مجموعة يكونوا شرسين. في زواج اخونا (سيف) وهو معـــاق "شلل أطفال" - كنا كثيرين جدا لدرجة إحساس بالقوة والرغبة فة جو مرح ولطيــف مـــع أغنيات الراحل "محمد أحمد عوض" رحمه الله ومنعنا إلى حد كبير الآخرون من ممارسة الضغط النفسى الدائم على المعاقين فى مناطق التجمعات.

فى تحــد دائم بين الأحياء في الخرطوم جنوب شرق وجنوب غرب الخرطوم فى الإحيـــاء الشـــعبية يقال العهدة على الراوى تصادق معاقان من شرق وغرب شارع القصر جنوب - أو الصحافة زلط للجدد من (اللوثريين)- الذى فى الغرب يأتى دوما للذى فى الشرق أما المعاق الذى يسكن فى شرق فلقد ذهب إلى صديقه الحميـــم مرة ولم يذهب مطلقا مرة أخرى فأحتج صديقه على ذلك كثيرا وألح عليه فى الحضـــور حتى ضايقه وأحرجه فرد عليه غاضبا "أجيك كيف وحيكم كله حفر وطين وموية والحتة الناشفة فيها كلب، أزوغ كيف بالكرسى من دا كله كيف؟؟؟". أخونـــا الفـــنان المعـــاق (ود المساعيد) يقال أنو الراحل (النعام آدم) -وهو كفيف طبعا- حاول أن يعرف باللمس من الذى جواره وضحك النعام قائلا لود المساعيد "والله قايلك جنريتر".

الإعاقـــة إن إســـتطعت تجاوزهـــا نفسيا يمكنك أن تتحمل كثيرا من معاناتها المادية واليومية. ولكن أرجو من الجميع أن يفهموا أن الإعاقة لا تولد إبداعا وفنانا وليـــس كـــل الأكفـــاء النعام آدم وحنان النيل أو إستيفي وندر هؤلاء مبدعون ليس لأنهـــم معـــاقين ولكن لأنهم مبدعين فعلا، فلا تجهدوا أنفسكم بذلك، من كان مبدعا فهو مبدع ولن تعيقه أى إعاقة، أقول ذلك كمثال لا للحصر.

هـــنالك أنـــواع من الاعاقة غير الجسدية قد تكون ظاهرة ولكنها كارثة بحق، هـــناك من ينشأ فى بيئة سيئة وهذه البيئة قد تسبب تشوهات نفسية تؤدى إلى أسوأ إعاقة.

من المواقف غير المقصودة وتبدو محرجة للمعاق أننى ذهبت للعزاء فى وفاة أحـــد الأقرباء فقال لى صاحب العزاء فى نبرة تشبه كثيرا الإحتجاج "لماذا أتيت؟" أجبته ببساطة "أتيت لتقديم العزاء؟" كنت أعلم أنه مشفق وأفهمته أننى إذا إستطعت أن أفعل شيئا سأفعله ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

دعيـــت أيضـــا إلى وجبة الغداء -المنتشرة هذه الايام- فاصر احد اقاربي- رحمـــه الله (كـــان شـــيخا كبيرا)- وأراد أن يكرمنى بأن أترك الكرسى المتحرك خاصتى وأجلس فى مكانه وبعد مجهود كبير وتدخل الأجاويد تراجع وشكرته على روحه الرائعة.

تشـــاجر معـــي أحدهـــم وشتمنى وكان حولى بعض إخوتى وأقاربي وبعض الأصـــدقاء غير بعيد علمت أنه إذا علا صوتى فستحدث كارثة وصمت حتى اليوم إلا من بعض ما أكتبه الآن.

قـــبل أعوام وبالتحديد فى عام ١٩٨٦ م ذهبت إلى زواج أحد زملاء الدراسة ونـــزلت من العربة غير بعيد من مكان المناسبة وحين إقتربت من المدعوين وقبل أن أصـــل لحق بي أحدهم وطلب منى "سيجاره؟" قلت له "حاضر" وحين بدأت في إخـــراجها حضـــر شـــاب كان معه – ربما – قال لى "لا تعطيه سيجارة" "ولكن لمـــاذا؟" قال "لأنه قال (الزول ماشى مكرهنا ومكسر مكرهنا " فقلت له " سأعطيه كـــل سيجائرى إن كان قد قال ذلك فعلى الأقل أحس الآن بكثير من الطمأنينة في أننى قادر على إثارة كل هذا القلق، فما زلت بخير".

العلاقـــات العاطفيـــة بعـــد الإعاقـــة أو التعامل مع الجنس الآخر خاصة مع الصـــغيرات ومحاولـــة إقناعهن بعدم جدوى البداية الخطأ مع من هم اكبر سنا قد يعرضك لأن تقول لك إحداهن "أنا ذاتى غلطانة، عارفاك مغرور، خاتى عليك ربنا أكـــان كسرك". توقع ذلك عزيزى المعاق وغير المعاق فلا ترفض بجلافة وحاول أن تكون هادئا وحكيما فما فعله الأستاذ الدكتور الجامعى – في مسلسل (الشيمة) – بالفـــتاة حيـــن رفض مشاعرها بقسوة تخلو تماما من الفهم التربوى أدى تماما إلى نهاية محزنة لها.

الإعاقـــة نفســـها مشكلة قد تختلف من دولة الى اخرى بالنسبة لى فقد تعاملت مع الإعاقة فى المانيا لمدة تسعة أشهر كانت حركتى فى المستشفى وخارجها سهلة ولا تحتاج الى مساعدة كبيرة كنت فى مدينة ميونخ قيل لى أنه قبل ٢٥عاماً انتج دواء لـــه علاقة بالحمل وبعد توزيعه بفترة إكتشف أن هنالك خطأ ما فى الدواء وقاموا بمصـــادرته ولكن كان البعض قد إستعمله وهذا يعنى عدد كبير من المعاقين فبدأوا

فى تصــميم كل شيئ لمواجهة الأعداد القادمة من المعاقين : المشتشفيات الخاصة البـنوك والــوزارات والمصالح الحكومية والأندية والإستادات الرياضية .... المشكلة وأعدوا لها الحل. حاولت على أيام مؤتمر الإستراتيجية لان الخطة لعشرة أيــام أن الحق المؤتمر بالفكر لان الحرب الأهلية مستمرة للأسف وأعداد المعاقين تــزداد مــن الشــمال والجنوب والشرق والغرب ولكن أحدا لم يهتم. كل المرافق يصــعب دخولهــا حــتى نادى الضباط والذين أكثر القطاعات تاثرأ تعد صالتهم الأصــعب في الدخــول فى الأمــارات المحطة التالية رغم البداوة هم يحترمون الإعاقة ويتعاملون معها بإنسانية ورقى نفتقدها هنا تماما.

الإعاقــة هنا عند بعض الاسر تعد عارا فوجود أى مناسبة يعنى إخفاء المعاق فى أى مكــان. ويقال أن إحد الاسر فى الخرطوم تركت المعاق (ذهنيا) وذهبت الى مناسبة زواج فى امدرمان وكل ما يعلمه المسكين أن المناسبة فى امدرمان فخرج مــن المــنزل غايــة الأناقة وإستغل سيارة اجرة وطلب من السائق أن يأخذه الى امدرمان وبعد عبور الكبرى سأله السائق الأربعين أم الموردة فأجاب ببساطة (بيت العــرس). ولعلكم تتخيلون الباقى الإعاقة هى مسؤولية خاصة بالمعاق إن لم تكن ذهــنية وهؤلاء لهم مدارس خاصة. أما إعاقتى فهى تعتمد على المعاق أولا وثانيا عــلى الاســرة والأهــل و ثالثا على المجتمع من حوله رابعا عليك أن تفهم أن المشــكلة تكمــن فى دواخــلك وهكذا يمكنك أن تتعامل على حسب إمكاناتك دون تهور. قد ياتيك الألم من الخارج فلا تكفر الا بما يؤلمك وتعجز فيه عن الدفاع عن نفسك وكبريائك. لا تسمح لعواطفك أن تقودك الى ألم لا تستطيع إحتماله حاول أن تقتصد فى الحركة والأكل وحتى المشاعر وهذه الأخطر. قد يكون التعامل مقرونا بالشفقة ونحن نخلط كثيرا بين الحب والعطف (الشفقة) وهذه أكثر إيلاما.

سهل جدا أن تحب فتاة ما وتحبك ولكن ما الفائدة العلاقة هنا فى السودان ١+١=٢ أن تملك دائما واحدا والواحد الذى لديك مختلف وغير قابل للتداول لتطوير العلاقة الى زواج. قــد يقال لك هنالك جنس موضعى أعلم ذلك عل العموم ألا يعنينى ذلك أن اعــرف الحيــاة الزوجية كما هى ١+١=٢ ولااستطيع ان اجازف لمجرد أننى

أحـــب أو لمجرد أن المجتمع سيفكر فى أن هذا الرجل عاجز إن عليه تغطية ذلك، لن أفعل و لا أنصح بذلك.

فى عـــام ١٩٩٠م قرأت عنوانا فى إحدى الصحف وكان بالخط العريـــض (معاقا يـــتاجر فى العملة وتم القبض عليه). لكم أن تتصورا فرحتى بهذا الخبر. ولكن في اليـــوم الـــثانى وبكـــل أسف (نفت) دار رعاية المعاقين صلتها بالبطل وأعلنت فى الصـــحف أنـــه ليس عضوا. ذهبت الى الجمعية وقلت لهم أنا لا أعرفه ولكنه أقنع الجميـــع بأنـــه إستطاع أن يفعل شيئاً كالآخرين الذين يملكون الطوق الكامل الذى يحيـــط بالعاصمة أن عقله يساوى عقل إنسان يستطر حتى على إقتصاد البلد فلماذا لا يصـــبح واحـــدا منا. على العموم العفوية ليست بالمزاج إنها العفوية الإجبارية فالإعاقـــة ليست إختيارا فحتى الموتى فى المقابر بينهم من قرر الإنتحار أحييه من هـــنا إن كان حيا فقد أثبت لكل الأسوياء أنه قادر على فعل السوء بنفس القدر إن كان لايستطيع الهروب سريعا فهو أشجع منهم.

جاءتـــنى يوما مجموعة من الفتيات قلن أنهن من رابطة أصدقاء المعوقين. سألتهن ببســـاطة لماذا؟ قالت إحداهن:- (مقتنعات بأن الإعاقة فى العقل وليس فى الجسد). قـــلت أنـــا لســـت بالشخص المناسب فأنا معاق جسديا فحسب. سكتن عن الكلام وخرجن.

سادتى علينا أن نفهم أن المعاق ذهنيا وعقليا موجود بصورة خفية وواسعة جدا وقـــد يكـــون فى مركز مرموق ولا أحد يعلم به ولكن أفعاله قد تقترب من (هتلر) وهـــو أسوأ المعاقين فى العالم وقد يكون كبتهوفن أو حنان النيل أو حتى النعام آدم رحمه الله (فلقد قال لماذا أرى فماذا فعل الذين يرون).

ليست حقدا على الأصحاء ولكن محاولة للإقتراب من عالم المعاقين ألا أبحث عن كارثة ولكنى أبحث عن حد أدنى من الفهم صدقونى حاولوا أن تتعاملوا بعقل لنتفق (هـــل نحتاج فعلا الى إنسان فيه روح الزين وعقل مصطفى سعيد وعضلات مفيد الوحش كما حنا مينا).

كنـــاصـــــغارا حيـــن الكـــبار كانوا يتحـــدثون عـــن البـــوليس الســـرى أو (أبو جلابية) وعن المنشورات حتى كنا نخاف من أية ورقة مطبوعة ما عدا الصحف

وأوراق الإمتحانات المخيفة أكثر من المنشورات. كان هذا لمعرفة من الذى ينشر المشـــورات ويوزعها ليلأخوفا من اللصوص والسوارى وبتاع (عفونه) وهولاء يـتجولون ليـــلا والويل لك منهم إن أمسكوا بك قالوا أنهم الشيوعيون من هولاء؟ عـــمى كـــان معهم قضى نصف حياته ما بين النقاش والتشريع والإنتقال ومازال يشـــتم أمـــا الآخـــر فكان من نوع آخر عثمان عبد الرحيم. جده ووالده كانا خلفاء الختمية وقالوا إنه قاد مع جمعية أبو عشر وعبد الغنى بن عوف ومجموعة اخرى أضـــراب الـــبوليس الشهير أيام الإنجليز ١٩٥٢م وحين أرسله الإنجليز الى سجن الابيض بعد أيام توقف المساجين عن العمل إلا بأجر مما إضطر مدير السجن الى وضـــعه بعيـــدا عـــنهم وقضى بقية عمره فى السعودية حتى رحل. سأل المرحوم عـــثمان عـــبد الرحيم احد ابناء الاسرة عن لحيته قائلا بسخرية لطيفة دى بطاقتك ياعمـــاد ولـــم ينتظر الرد (رحمه الله). المدهش والمحزن أن الشرطة لم تهتم ولم تكـــرم الرجل ولكن فى احدى الايام كان يقود عربة ملاكي دون رخصة وهو لديه رخصـــة أصـــلا فأخذه وهو رجل الشرطة الى المركز فضحك (الصول) العجوز وقال للشرطى (تجيب لى عثمان آنت؟).

كـــانوا يصـــلون بـــالذات عثمان فى رمضان وكنا نحب رمضان والسحور البانت ورائحـــة الآبرى ونشارة الثلج من موسى خليل رحمه الله ولا تتاح لك الفرصة فى ســـرقة قليل من الآبرى الابيض الا إذا أرسلوك لجلب سجائر أو صعوط. لم يكن هـــنالك لصوص بهذه الكثرة كاليوم حتى أن الحراسي إذا قبض عليه يرافقه موكب ضـــخم قـــليل من الكبار وخلفهم نحن (ياهو ياهو) على أى لم نكن نعتقد بانه مثلنا وان لديـــه اســـرة واولاد. ربمـــا كلهم حرامية ويتشابهون. أما اليوم فلقد تجلس وتتصادق وحتى تتزوج منهم وتحس بالفخر (القصة باظت خالص).

نحـــن فى العاشـــرة هتفت الخرطوم وصرخت وركضنا لنعرف ماذا دهاها قـــالوا البوليس أطلق النار وقتل أحمد القرشى طه طالب من القراصة والصلاة فى ميـــدان عـــبد المنعم ومن هناك الى القراصة. وإنطلقنا فى الشوارع. الفوضى. ما أحـــلى الفوضـــى فى سن العاشرة لن تعود يابشير الى الثكنات يا أبورنات داون داون بو إس إى من هو بشير؟ وما معنى ثكنات؟ وما معنى أبورنات؟ خائن خائن

بائع حلفا أنه نفس الرجل هو أبو ماهر كان يغنى فى أيام **الأعياد الرسمية نزالا لا** باعتبود وبعد فترة قابلناه فى الاميرية الخرطوم فى **امتحان اللجنة (ببيع لقيمات)** خمسة بتعريفه. قالوا هذا مناضل من حلفا.

مناضل (يا لهب الثورة العملاقة) فى المدرسة **المتوسطة أساتذة كثر قالوا** عنهم شيوعيون حتى أن أحدهم كان يحلف فقط ويقول **(والشرف الماركسى)** سأفعل كذا رحمه الله استاذ (علم) الوحيد استاذ عبدالنبى **حمدان مستر (أمبو) قالوا** أنه من جبهة الميثاق عرفته كباقى الطلبة كان علينا أن **نحفظها بجانب ABC** قالوا لنا الشيوعيين كفار. هل كل الاساتذة كفار؟ لماذا **يتحدث مولانا ضياء الدين** العباسى معهم؟ ويفطر معهم؟ فطور عم جعفر الرائع. **وحتى استاذ عبد النبى** حمدان كان يلعب معهم كرة السلة ولا تتسخ ملابسه **كان هذا مايميزه النظافة** الشديدة وعطر معين لا أعرف إسمه ولم نكن **نعرف معنى(جبهة ميثاق) كان** وحيدا وحين زمن آخر كنت أقرا عن ندوات مؤتمر **الخريجين قبل الإستقلال كان** يقال صادق عبد الله (طالب سودانى بمصر) شارك فى **الندوة أو الليلة وأيضا واحد** فقط.

بعدها وفى الثانوية فى بداية السبعينات **اختفت بوليس سرى (وصارت)** (أمن) ده بتاع أمن ولا أدرى حتى اليوم لماذا يختارونهم **دائما وكأنهم ولدو من أب** واحد وأم واحدة لا تستطيع مطلقا إلا أن تحمل نفس **المشاعر (الضيق وعدم** الراحة) كان اليسار مستقرا وكل شى هادى وفجأة. **ود العطا. حمد الله بابكر النور** خارج المجلس والبقية معتقلون وتململ البعض وبعد عام ونحن ندخل الى اولى عالى فاولى ثانوى ضاعت وعلمى وادبى وبوليو الاجازة وانقلاب الساعة الثالثة ظهرا. كنا فى ملعب كرة القدم (العشش) حين ذاك عدنا الى المنازل.كان أبى يتحدث الى بعض أهلى قائلا عبد المنعم مع الجماعة ديل **ومعاهو محمد أحمد** الزين وفى اليوم الثالث بالواضح بالواضح وانكفأ الوضع. **كانت عبارة الشيوعيين** كفار قد رسخت. الجماعة ديل كفار الجوامع إنتهت **كانت عبارة كفار هى المآخذ** الوحيد على الشيوعيين من كل الناس واكثرهم بسطاء **أو فى سن لا تسمح لهم** بالفهم الا بعد فوات الأوان وكانت الجبهة الديمقراطية **تعتمد على النقابات والطلاب**

وكـــان الكـــثير من الطلاب انضمامهم الى اليسار مربوطا بالهم اليومى لاعمارهم وانالـــة الجـــبهة الديمقراطية وكانت قاصمة الظهر فى ١٩يوليو وكان الكثير من قيـــادات الطلاب لاتعرف معنى حتى (امبريالية) وتلك هى مأساة الوعى الخاص بالجبهة الديمقراطية وحين كان هاشم العطا ينادى لم يخرج من الاعداد المهولة من الطـــلاب الا أعـــداد بسيطة والبقية نكل بها جهاز الامن ولملمة الاطراف لم تكن ســـهلة وبـــدأ رجـــل مـــن أقصى اليسار يقدم كل ما فى التنظيم الشيوعى وهياكله وطريقته فى العمل فى حزب إسلامى سمى بالجبهة الاسلامية القومية وهى نفسها جبهة الميثاق ونحن فى العاشرة. والغريب صادق عبد الله (طالب سودانى بمصر) ليس معهم تماما.

بعـــد كـــل السنوات لماذا لم يستقر هذا الانسان السودانى من كل هذا العمر ولماذا يصر الكثيرون على أن الوعى من صفات الكفار

(الشـــيوعيون) وهل هم كفار فعلا ولماذا يدعى البعض (توجها حضاريا) وشعار اعدائهم (التقدمية)

لماذا لم الخريجون؟ أحمد خير، المحجوب، حسن الطاهرالفضلى اخوان لم لم يقفوا مع الازهرى أو حتى معا؟ فى مواجهة كل التخلف بدلا من إنحياز بعضهم للطائفـــتين مـــن أجـــل الوصـــول للسلطة ولماذا لم يخرج حتى اليوم للناس فهما يستوعب كل التناقضات؟ ولماذا نصدق حتى اليوم بان اى شخص على درجة من الـــوعى الكـــافى للاخـــتلاف مع اى سلطة بانه شيوعى ولماذا اكتب انا الى الآن؟ وليس فى داخلى سوى الكثير من الحزن والالم لانك حين تنظر بعقل الى المستقبل فـــلا احد يطرح احلام الكثيرين وهم اغلبية فى صورة شاملة ونظرة عاقلة وثاقبة دون ان تشك فى نواياه؟ صدقونى ليس من السهل الوثوق باحد فى هذا العالم على الاقـــل عـــلى المـــدى القـــريب ان كان هناك مدى. ولماذا خرجت الخرطوم يوما لاستشـــهاد طالب واحد؟ وتصمت الآن ولقد هلك الناس جوعا ومرضا؟ وبعضهم عضـــبا. لمـــاذا يزداد عدد المجانين فى الشوارع يوميا والمتسولون صاروا أجمل والدعـــارة صـــارت فى كـــل مكـــان فى السيارات الفارهة والعربات التى تضج بـــالظلال؟ والاغـــانى الرخيصـــة. هل فعلا لاننا لم نعد نعرف مايجرى؟ هل لان

الــوعى إنخفــض وصار تهمة خطيرة؟ أم هل لان الخرطوم المثلثة ليس فيها من ســكانها حيــن اكــتوبر الا القــليل؟وهى محاطة بشذاذ الآفاق الذين يملكون كل شــيئ.حتى منازلنا حين تدفع كل فواتيرك الشهرية تكتشف انك تدقع الايجار على مــنزلك الخــاص وحين انت دافع للضرائب التى يقبض المسؤلون مرتباتهم منها ويحرصون كل الحرص على ان نظل رعية فقط من دون صوت وهل صرنا بكما صــما عميا وهل نحن كفار؟ فالجوع ابو الكفار تطاحن الكثيرين. اذكر اننى قدمت الى الســودان الى ســجن راس السنة من اديس ابابا مع مجموعة موسيقية اثيوبية لافتــتاح الهــابى لاند مع صديقى (إبشاتو) وكان فى انتظارهم (منليك) يوم راس السنة كنا مجموعة من هنا وهناك سألنى أحدهم الى اين؟ قلت سهرة مع هابى لاند قال لى وهو يرفع الكاس دة سلوك برجوازى لم اهتم لانه ليس مهما وكان معه من احترمه، ومن احترمه ذهب. بعد سنوات جاءنى صديقى الذى احترمه كثيرا وقال لى فلان جاء فى إجازته الاولى من السعودية فلنذهب لزيارته كنت قادما فى آخر إجــازتى قبل الاعاقة وركبت عربة اخى خالد وطوال ثمانى سنوات لم احس يوما بحاجــتي لعــربة ربما لضيق الزمن ولوجود واحدة في البيت ركبت العربة وحين اتجهت الى منزل من وصفنى بالبرجوازية لسهرة راس السنة قال صديقى لا ليس فى المــنزل انــه فى فــندق القرين فليدج قلت وماذا يفعل هناك : قال ان اخوته الصغار يسببون له ازعاجا وهو يريد أن يرتاح؟؟ عدت ادراجى ورفضت الذهاب.

أن نحفظ عبارات ونطلقها جزافا ودون تميز والبرجوازية متأصلة فى ذلك المســكين وصارت الان جزءا من سلوكه حتى كمية الازهار التى ارسلها لى فى المستشــفى فى اوربا كانت الغرفة مثل جنازة البابا ولا تعنى أى الازهار أى شيئ بالنسبة لى غير انها ازهار ولكن ...!

هــذا الــنوع مــن الاحتكاك قد يخلق مطبات ومزالق لعدم التوافق وحتى الــتعامل بين صلاح ادريس مهما كان وبعض الفنانين يوصف بأنه بيع لقضية ما رغــم ان ذلك ليس كذلك فى كثير من الاحيان فلا يزدهر الفن الا اذا كان احدهم قيصــر الــروم أو هارون الرشيد أو ولادة بنت المستكفى (ولا عدمناكم فلامنغو) الــتى قيل انها تحولت الى (فلامنغو) من زرياب بعد هجرته فارا الى الاندلس من

بطش بغداد فصلاح ادريس هو بلاط الفن اليوم. فلا بلاط غيره لماذا يشك البعض فئ الرجل ماذا يأخذ منهم على الاقل لم يطلب من احد منهم ان يغنى له.

ومن عادى الجميع من اخوته ورفاقه من اجل ملايينه فهو الملام.

وعش رجبا ترى عجبا،،،

ضـــاعت فى لحظـــة غضـــب شديد، من الاعلم ببواطن ثلاثين عاما من الاحـــترام طـــوال ثلاثيـــن عاما بالبراعة منهم من خدعنى وخدع اجيالا واجيال.

يالطيف الطف

الانـــتحار احيانا يكون حلاً وذلك كثير في اوربا وتلك عقلية ولنا عقلية عجينة من الأسلام ورجالة اولاد البلد والقدرة السودانية الطبيعية فى تجاوز المحن.

فى المانيـــا حـــاول الطـــبيب الالمانى دون ان اعرف ان يدخل الى عقلى بواســـطة فـــتاة رائعة اسمها (قابي) كانت تسألنى كثيرا ويوما ما احضرت الوانا وطلـــبت مـــنى ان ارسم أى شيئ وحاولت بمجموعة الوان من الاحمر والاصفر وحتي البنى ان اصنع شيئا مجرد دوائر متدرجة الالوان انا لا اعرف كافي حسين فهو متخصص تلوين في النهاية كتبت عبارة وردت في اغنية (لجيمي كلف)

What are your doing with your life?

بعـــد ايام جأتنى (قابى) حزينة وقالت لماذا لم تخبرنى بانك تنوى الانتحار، ســـالتها مـــن اين اتت بالفكرة قالت ليست فكرة فدكتور (فيرنر) قال انك ستنتحر خلال شهر فضحكت.

مر شهر وشهران ودخل السودان دائرة المجاعة كنا فى نهاية الشهر الثالث ولم انتحر.

مر الدكتور وانا جالس امام الغرفة وسالنى عن حالى فقلت له مازال حيا. توقـــف وســـالنى ماذا تغنى؟ قلت انت قلت قبل ثلاثة اشهر اننى قد او اكيد سوف انـــتحر خلال شهر والان مرت ثلاثة اشهر. لا تغضب اذا حاولت ذلك من النافذة فـــهى عاليـــة جدا والحبوب لا تدعنى الممرضة الا بعد ان ابتلع اخر قرص وليس لـــدى مســـدس والســـكين مؤلمة ولست شجاعا لهذه الدرجة واسترمطت انا احترم

(فـــرويد) فـــلقد بنى ابحاثه ونظرياته من هنا وانا من هناك لحن نموت من الجوع كما تري في التلفزيون ولكن انتحر فلا.

اعطـــنى عـــنوانك وعندما اعود سوف ارسل لك بطاقة كريسماس كل عام وصدقنى ساطلب من اهلى ان يرسلوا لك اسباب وفاتى ولن تكون انتحارا.

كـــان الـــرجل يعمـــل فى مـــا فترة مع بعض السودانين واحبهم، قال لى الســـودانون ليســـو كالعرب فلقد عرفت العرب. وهم ليسو كالافارقة فلقد عرفتهم ايضا انهم اناس فى غاية الخصوصية ان صحت الترجمة.

كانت فى نفس المستشفي - وفيه قسم للامراض النفسية - امرأة عجوز تقول دوما كلمة واحدة (فرشيدن) لانها تقولها دائما حفظتها.

وبعد فترة سالت الاخ مصطفى ادريس عن المعنى قال (مختلف)

كيف هنا وهناك انه الانسان ولو جغرافيا فهو كما هو لا يختلف يا متخلف.

(مرحبا يا فرويد)

ما فيكم ود اخو العباس

ونحنا مانا قريش

" هذا قليل من كثير"

لقول الشاعر :

لا تشرع عينيك لضوء العالم

إخترق الأشياء ولا تبصرها

وانفذ من أعماق الأعمال إليها.

((الخاتمه))

الآن وانـــا أكتب في إمتداد الدرجة الثالثة وطني الصغير الذي أرهقني كثيرا ، أنظـــر إلى شـــوارعه وإلى محطـــة ٧ (محطة سبعه تشهد) -كانت أغنيه للبنات- عـــندما كان الموصلي يصول ويجول يحمل (الرق) ويغني (لسميه) قبل أن يتحول إلى موسيقار بهذا الحجم وأذكر (زكي عبدالكريم) والمواسير والبراميل ومشاوير الحـــب الأول والمظاهـــرات والمؤودة ورابطة رعاية الناشئين وفريق سلام (١١) والمجـــتمع الذي تخرجت لاعبا من الدرجة الرابعة والخامسة فأنا لا أفهم في كرة القـــدم الـــتي كـــانت أساس كل شيئ وحملت في داخلها أحقاداً ومكايدات ودسائس ومجتمعاً لم أحتمله فعدت إلى الديوم مرة أخرى .

الآن يحتويـــني الإمتداد بكل الحب والرعاية مجتمع الإمتداد بدأ يكبر في السن وبـــدأ ينضـــج ورحـــل معظم ملاك المنازل الأصليين وكبر الجميع وهدأ المجتمع وبدأت الحركه الأجتماعيه تأخذ منحنى تضامنيا أكثر ولكنه مرتكز حتى الآن على النشـــاط الرياضـــي فلا نشاط يمكن أن يمارسه (معاق) غير التواصل الإجتماعى العادي فأنا لا أحب الأنديه كثيرا .

اقول أخيرا لكل الناس كلنا معاقون بصوره أو بأخرى .

حســـن عثمـــان

بسم الله الرحمن الرحيم

أعزائي،،

كلـــنا معـــاقون بصـــورة أو بأخرى معنويا وماديا واعاقتنا تتعاون كل حسب امكاناته "ولا يكلف الله نفسا الا وسعها".

الإعاقـــة الجسدية مستحيلة العلاج تؤدي الى عجز دائم، لكن محاولة التصالح بينك وبين نفسك وبين الإعاقة من جهة هي المخـــرج الوحيد، وتعاملك بقدر امكاناتك ورغباتك وميولك الشخصـــية والتزامك الاجتماعي بقدر الامكان رغم صعوبة ذلـــك عمـــليا ونفســـيا ورغم الجهل المحيط اجتماعيا لفهمك يتطـــلب منك صبرا وايمانا يتأرجح دوما بين الكفر بالآخرين واليقيـــن بهم في حياتك الجديدة. فالأولى قد انتهت وتحولت حيـــاتك الى اخـــرى وعليك التوافق ... التوافق ... التوافق والله ولي التوفيق.

حسن

سـولو للطباعة والنشر
Solo Printing & Publishing